

مكتبة الأسرة الروائع



892

أجمل ما كتب
شاعر الجندول
علي
محمد ود طه



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر / محمد العليم القباني

الإسكندرية

أجمل ما كتب شاعر الجندول



مهرجان القراءة للجميع ٩٦
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(روائع الأدب العربي)

الجهات المشتركة:	أجمل ما كتب شاعر الجنود على محمود طه
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية	
وزارة الثقافة	لوحة الغلاف للفنان جمال قطب
وزارة الإعلام	
وزارة التعليم	تصميم الغلاف الإنجاز الطباعي والفني محمود الهندي
وزارة الحكم المحلي	
المجلس الأعلى للشباب والرياضة	
التنفيذ: هيئة الكتاب	

المشرف العام
د. سمير سرحان

أجمل ما كتب شاعر

الجنيدول

على محمود طه

اختيار وتقديم

د. سمير سرحان د. محمد عناني

على سبيل التقديم . . .

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كاضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنقظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

تقديم

لا يكاد على محمود طه يحتاج إلى تقديم ، فالجيل الذى انتمى إليه يآلف شعره الرقيق وحبه للجمال والطبيعة والحرية ، ويكاد يرى فيه مثلاً لكل ما كنا نصبو إليه صغاراً حين نذكر فنون أوربا وطبيعتها الخلابة ، والجيل التالى لنا يعرفه من قصائده التى سمعها من محمد عبد الوهاب مثل الجندول وكليوباترة ، ونحن وهم لا نملك إلا الشجن عندما نسمع قصيدته الأخرى التى يغنيها عبد الوهاب أيضاً «أخى جاوز الظالمون المدى ...» والتى تتصدر هذه المجموعة .

ولن لا يعرفون الكثير عن صانع هذه الدرر البديعة ، نقدم لمحة موجزة عن حياته وشعره ، فالأصل هو النص الشعري ، وهذا هولب الكتاب . ولد على محمود طه فى المنصورة عام ١٩٠٢ وتعلم أولاً فى الكتاب ثم دخل المدرسة الابتدائية ، وبعد أن نال شهادتها ، وكّد عنده - كما يقول شوقي ضيف (الأدب العربى المعاصر فى مصر) «شغف بالعلوم التصنيعية ، فرفض الإلتحاق بالمدرسة الثانوية وأثر الإلتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة . وفى سنة ١٩٢٤ تخرج حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المباني» .

وقد أقبل على الوظيفة الحكومية لأنها كانت توفر له الوقت الكافى للتأمل والقراءة ، فعمل أولاً موظفاً بسيطاً بهندسة المباني فى بلدته المنصورة ، وبدأ ينشر قصائده ويلفت الأنظار

إليه ، ولم يبلغ الخامسة والعشرين حتى كان قد تمكن من نشر بعض أشعاره فى جريدة السياسة الأسبوعية ، وساهمت قصائده تلك مع ما كانت الجريدة تنشره فى إذكاء الروح الرومانسية التى كانت تملأ الجو آنذاك ، وسرعان ما أصبح علماً من أعلام مدرسة أبولو التى أرست أسس الرومانسية فى الشعر العربى ، والطريف أنه كان يحقق المثل الأعلى الرومانسى الذى كان يريده أصحاب مدرسة الديوان (العقاد وشكرى والمازنى) وهو الصدق - وتحديدأ ما كان العقاد ينعى فقدانه فى شعر شوقى أى عدم إفصاح الشعر عن الشاعر .

فكان على محمود طه فى حياته مثلاً لما يقوله فى شعره ،
وهذه هى شهادة أحمد حسن الزيات :

كان شاباً منضوّر الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور
المخيلة ، لا ييصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب
غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى
ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

«كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على
الزهر، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على
النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل
. ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وأثاره ، فإذا الفراشة الهائمة
على أرباض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم الحياة ،
والأرواح الشاردة فى أفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى
أطباق اللانهاية وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المحلق تارة

بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس» .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى الدقة العلمية التي تحراها طه حسين عندما يتحدث عن الشاعر في حديث الأربعاء فهو يتحدث عن شخصية فنية ، بمعنى القناع الذى يلبسه الشاعر فى شعره ويخفى وراءه وجهه الحقيقى ، مهما يكن من شبه بينهما ، فالشعر الذى يقوله الشاعر ليس الشاعر ، ولذلك فطه حسين سباق فى هذا المجال النقدى الحديث .

على أى حال ، ظل على محمود طه يتقلب فى المناصب الحكومية ، فانتقل إلى وظيفة مدير المعرض الخاص بوزارة التجارة ، ثم استقر نهائياً فى القاهرة مديراً لمكتب الوزير ، وبعدها التحق بسكرتارية مجلس النواب ، مما هيا له التنقل فى القاهرة التى كانت ما تزال روضاً أريضاً ، ومنها كان يسافر إلى خارج مصر بانتظام ويتقن عدة لغات أوربية فى سفراته تلك، ويخرج الديوان بعد الديوان ، ولكن الوظيفة الحكومية التى قربته من السياسة تتنكر له فيستعويض عنها بقرض الشعر ، وعندما يعين آخر الأمر وكيلاً لدار الكتب عام ١٩٤٩ ويبدأ فى التفرغ للنظم ، يعاجله القدر المحتوم فيرحل عن الدنيا فى آخر العام (١٩٤٩/١١/١٧) .

والفتاح لشعر هذا الشاعر هو فكرة الفردية الرومانسية والحرية التى لا تتأتى بطبيعة الحال إلا بتوافر الموارد المادية ،

التي تحرر الفرد من الحاجة ولا تشعره بضغط الفاقة ، فقد ولد لأسرة ميسورة ونعم في صباه ورجولته بما يكفى من الموارد للترحال والتنقل ، بحيث لم يكن يستطيع أن يرى سوى الجمال ، وأن يخصص قراءاته في الآداب الأوربية للمشكلات الشعرية التي شغلت الرومانسيين ، عن الإنسان والوجود والفن وما يرتبط بذلك كله من أعمال للخيال الذى هو سلاح الرومانسية الماضى . وهذا ما يقوله طه حسين :

«إن شخصيته الفنية محببة إلى حقاً ، فيها عناصر تعجبني كل الإعجاب ، وتكاد تفتنني وتستهويني ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التي لا حد لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض . هذه الحيرة التي تصور الشاعر ملاحاً تائهاً حقاً ، والتي تقذفه من شك إلى شك ، ومن وهم إلى وهم ، ومن خيال إلى خيال ، والتي لا تستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها إزعاجاً وتدفعه عنها دفعاً ، وتقذف به إلى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبينها بعض الشيء حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكراً ، وإذا هو يهرب منها ويجد في الهرب» .

وتأثير شعراء الغرب فيه أوضح من أن يحتاج إلى برهان ، فهو يترجم قصيدة «إلى قبره» للشاعر الانجليزى شلى ، وقصيدة البحيرة للامارتين ، ويقول طه حسين إنه يذكره «تذكيراً قوياً بموسيه» (حديث الأربعاء - ص ١٤٦) - وإن لم يكن ذلك التأثير مقصوراً عليه ، فجميع أصحاب مدرسة أبولو قد تأثروا بالغرب وبأنواع النظم الغربى .

وسوف يدرك القارئ لأول وهلة مدى اختلاف شعر على محمود طه عن شعر شاعر مثل شوقي مثلاً ، فشاعرنا هنا من أول من ثاروا على وحدة القافية (بل ووحدة البحر - انظر **فلسفة وخيال**) ناشداً في ذلك وحدة القصيدة أى الوحدة النفسية التى اقتضته ألا يمزج «أغراض» الشعر بأسلوب شوقي ، ولا أن يسعى لوضع الأبيات التى تشبه الحكم الماثورة ، بل أن يسعى إلى أن تكون كل قصيدة - كما يقول الدكتور هيكل فى **ثورة الألب** (ص ٦٠) بمثابة «فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب ، فى صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها، من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة».

إن إدراك هذا الجهد الذى بذله على محمود طه يفسر لنا كيف وجد المحدثون ، الذين كانوا يبنون بنيانهم على أسس مدرسة أبولو ، يسراً فى صياغة الشعر الجديد ، والانتقال بيسر أكبر إلى وحدة التفعيلة - التى كانت النقلة الطبيعية من حركة التحرر الرومانسى إلى حركة التحرر الحديث فى الأدبين الغربى والعربى جميعاً .

ورغم توقف مجلة أبولو عن الصدور عام ١٩٣٥ فقد استمر على محمود طه يرفع لواءها فى دواوينه المتتالية التى تزامن صدور ستة منها مع سنوات الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحس لهذه الحرب أثراً فى شعره ، وإن كنت تسمع أصداً من ينشد للإنسان ويهفو للسلم والحرية ، معلياً قيمة الجمال باعتبارها القيمة الإنسانية العليا (مثل الشاعر

الإنجليزى جون كيتس) وكما يقول الدكتور محمد مندور ، كانت «حاسته الجمالية» هى التى تقيه الابتذال ، حتى حينما يبدو للقارئ أنه يبالغ فى الأوصاف الحسية أو يتحدث عن الخمر (قضايا جديدة فى الأدب الحديث) .

ومن تراث الرومانسية الغربية استقى على محمود طه صورة «الشاعر» التى كان العقاد يعليها من قبل ، فهما فى هذا يتفقان رغم اختلاف مذاهبهما الشعرية ، فعلى محمود طه يرى مثل شلى أن الشاعر هو وحده القادر على فهم روح الإنسان ، وأنه وحده القادر على ترجمة هذا الفهم إلى وشائج صلة بين الأرواح ، وإذا كان العقاد ينسب هذه القدرة إلى «الشعور» (مثل وردزورث) فإن شلى هو أيضاً يدين بدين كبير إلى أستاذ الرومانسية الأكبر وردزورث .

وبعد فهذه مختارات قليلة نرجو أن تطفئ غلة الظامئ إلى جمال الشعر العربى الحديث وأن تكون مقدمة لقراءة دواوين الشاعر – ونأمل أن يرى الجيل الجديد فيه ما كنا نراه ، رغم طوفان الشعر الجديد .

د. سمير سرحان

د. محمد عنانى

١ - فلسطين

أخى ، جاوزَ الظالمونَ المَدَى
فحقُّ الجهادِ ، وحقُّ الفِدا
أتركهم يَغصبونَ العُروبَةَ
مجدَ الأبوةِ والسُّودِدا ؟
وليسوا بِغَيْرِ صليلِ السيوفِ
يُجيبونَ صوتاً لنا أو صدى
فجرٌ حسامك من غمده
فليسَ لَهُ ، بَعْدُ ، أن يُغمدا
* * *
أخى ، أيها العربيُّ الأبى
أرى اليومَ موعِدنا لا الغدا
أخى ، اقبلَ الشرقُ فى أمةٍ
تردُّ الضلالَ وتُحيى الهدى
أخى ، إنَّ فى القدسِ اختاً لنا
أعدُّ لها الذابحونَ المَدَى
صبرنا على غدرهمِ قادرينَ
وكنا لهمُ قَدراً مُرصدا
طلَّعنا عليهمُ طلوعَ المنونِ
فطاروا هباءً ، وصاروا سُدى

أخى ، قُمْ إِلَى قِبَلَةِ الْمَشْرِقَيْنِ
لنحْمِيَ الْكَنِيسَةَ وَالْمَسْجِدَ
أخى ، قُمْ إِلَيْهَا نَشُقُّ الْغَمَارَ
دُمَا قَانِيَاً وَلِظَى مَرْعَدَا
أخى ، ظَمِنْتُ لِلْقِتَالِ السِّيُوفُ
فَأُورِدُ شَبَّاهَا الدَّمَ الْمُصْنَعَدَا
أخى ، إِنْ جَرَى فِي ثَرَاهَا دُمَى
وَشَبُّ الضَّرَامُ بِهَا مَوْقَدَا
فَفَتَّشْ عَلَى مَهْجَةٍ حُرَّةٍ
أَبَتْ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا الْعِدَا
وَحُذِّ رَايَةُ الْحَقِّ مِنْ قَبْضَةٍ
جَلَاهَا الْوَغَى ، وَنَمَاهَا النَّدَى
وَقَبَّلْ شَهِيداً عَلَى أَرْضِهَا
دَعَا بِاسْمِهَا اللَّهَ وَاسْتَشْهَدَا
فَلَسْطِينُ يَفْدَى حِمَاكَ الشَّبَابُ
وَجَلُّ الْفِدَائِي وَالْمُفْتَدَى
فَلَسْطِينُ تَحْمِيكَ مِنَّا الصَّدُورُ
فَإِمَّا الْحَيَاةَ وَإِمَّا الرَّدَى
ه ه ه

٢ - مصر

هوى لك فيه كل ردى يحب
فديتك ! هل وراء الموت حب ؟
فديتك مصر ، كل فتى مشوق
إليك ، وكل شيخ فيك صب
ويحلم بالفدى طفل فطيم
وكل رضية في المهد تحبو
أراك و أينما وليت وجهى
أرى مهجاً لوجهك تشرئب
وأرواحاً عليك محومات
لها فوق الضفاف خطى ووثب
عليها من دم الغادين غار
له بيديك تضفير وعضب
حمتك صدورها يوم التنادى
ووقتك الليالى وهى حرب
إذا رامتك عادية وشقت
فضاءك غيلة ورماك خطب
دعت بالنهر فهو لظى ووقد
وبالنسمات فهى حصى وحصب

وبالشجر المنورِ فهو غيلٌ
وكلُّ غُصُونِهِ ظُفْرٌ وخِلْبٌ
حقائقُ عن يدِ الإيمانِ ترمى
صواعقُ ومضُها رَجْمٌ وشُهْبٌ
لها في مهجةِ الجبارِ فتكٌ
وفى عينيه إيماضٌ وسكَبٌ
صَنَائِعُ كالغنائياتِ يَشْدُو
بها شرقٌ ، ويلقى السمعَ غَرْبٌ



٣ - أغنية الجندول

فى كرنفال فينيسيا

أين من عيني هاتيك المجالى
يا عروس البحر ، يا حلم الخيال
أين عشاقك سمار اللىالى
أين من واديك ، يا مهد الجمال
موكب الغيد وعيد الكرنفال
وسرى الجندول فى عرض القنال
بين كأس يتشهى الكرم خمره
وحبيب يتمنى الكأس ثغره
التقت عيني به أول مرة
فعرفت الحب من أول نظره
أين من عيني هاتيك المجالى
يا عروس البحر ، يا حلم الخيال
مر بي مستضحكاً فى قرب ساقى
يمزج الراح بأقداح رقاق
قد قصدناه على غير اتفاق
فنظرنا ، وابتسمنا للتلاقى

وهو يستهدي على المَفرِقِ زهره
ويُسـوِي بيَدِ الفِتْنَةِ شَعْرَه
حينَ مَسَّتْ شَفَتِي أَوَّلُ قطره
خلَّتْهُ ذَوْبَ فِى كـَاسِي عِطْرَه

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ المَجَالِي

يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

قلتُ ، والنشوةُ تسرى فى لسانِي :

هاجَتِ الذكري ، فأينَ الهَرَمَانِ ؟

أينَ وادى السُّحْرِ صدأَحَ المِغَانِي ؟

أينَ ماءُ النيلِ ؟ أينَ الضَّفَّتَانِ ؟

أه ، لو كُنْتُ مَعِي نَخْتَالُ عِبْرَه
بشِراعٍ تَسْبِجُ الأنجُمُ إثْرَه
حيثَ يَرَوِى المَوْجُ فى أرخمِ نَبْرَه
حُلْمَ ليلٍ من ليالى كليوبترَه

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ المَجَالِي

يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

أيها الملاحُ ، قِفْ بَيْنَ الجُسُورِ

فِتْنَةُ الدُنْيَا ، وأحلامِ الدُهورِ

صَفُّقَ الْمَوْجِ لَوْلَدَانِ وَحُورِ

يُغْرِقُونَ اللَّيْلَ فِي يَنْبُوعِ نَوْرِ

مَا تَرَى الْأَعْيَدَ وَضَاءَ الْأَسِرَّةِ ؟

دَقُّ بِالسَّاقِ وَقَدْ أَسْلَمَ صَدْرُهُ

لِمُحِبٍّ لَفٌّ بِالسَّاعِدِ خَصْرُهُ ؟

لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ لَا يُطْلَعُ فَجْرُهُ !

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي

يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ ، يَا حُلُمَ الْخِيَالِ

رَقْصَ الْجُنْدُولِ كَالنَّجْمِ الْوَضِيِّ

فَاشْدُدْ ، يَا مَلَا حُ ، بِالصَّوْتِ الشَّجِيِّ

وَتَرَنِّمْ بِالنَّشِيدِ الْوَثْنِيِّ

هَذِهِ اللَّيْلَةُ حُلُمُ الْعَبَقْرِىِّ

شَاعَتِ الْفَرَحَةُ فِيهَا وَالْمَسْرَةُ

وَجَلَا الْحُبُّ عَلَى الْعُشَّاقِ سِرَّهُ

يَمْنَةً مِلْ بِي ، عَلَى الْمَاءِ ، وَيَسْرُهُ

إِنَّ لِلْجُنْدُولِ تَحْتَ اللَّيْلِ سِحْرَهُ

أَيْنَ ، يَا فِينِيسِيَا ، تِلْكَ الْمَجَالِي ؟

أَيْنَ عُشَّاقُكَ سُمَارَ اللَّيَالِي ؟

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي أَطْيَافُ الْجَمَالِ ؟
مَوْكِبُ الْغَيْدِ وَعِيدُ الْكَرْتَقَالِ ؟
يَا عَرُوسَ الْبَحْرِ ، يَا حُلْمَ الْخَيَالِ !!



٤ - ليالى كليوبتره

كليوبترا ! أى حُلمٍ من لياليك الحسانِ
طافَ بالوَجْ فغنى ، وتغنى الشاطنَانِ
وهفا كلُّ فؤادٍ ، وشدا كلُّ لسانٍ :
هذه فاتنة الدنيا وحسناء الزمانِ
بُعِثْتُ فى زورقٍ مُسْتَلْهِمٍ من كلِّ فنٍّ
مَرِحَ المجدافُ يخالُ بحوراء تُغنى
يا حَبِيبِى ، هذه ليلة حُبِّى
أه لو شاركتنى أفراح قلبى !
نبأة كالكَاسِ دارت بين عُشاقٍ سكارى
سَبَقَتْ كلُّ جَنَاحٍ فى سماءِ النيلِ طارا
تحملُ الفتنة ، والفرحة ، والوجدَ المثارا
حلوهُ صافية اللُحْنِ كأحلام العذارى
حُلمٌ عَذراء دعاها حبُّها ذاتَ مساءٍ
فتَفَنَّتْ بشراعٍ من خيالِ الشعراءِ
يا حَبِيبِى ، هذه ليلة حُبِّى
أه لو شاركتنى أفراح قلبى !

وَتَجَلَّى الزُّورُ الصَّاعِدُ نَشْوَانَ يَمِيدُ
يَتَهَدَّاهُ عَلَى الْمَوْجِ نَوَاتِي عَبِيدُ
الْمَجَادِفُ بِأَيْدِيهِمْ ، هَتَافٌ ، وَنَشِيدُ
وَمُصَلُّونَ لَهُمْ فِي النِّهْرِ مِحْرَابُ عَتِيدُ
سَحَرَتْهُمْ رَوْعَةُ اللَّيْلِ فَهُمْ خَلَقُوا جَدِيدُ
كُلُّهُمْ رَبٌّ يُغْنِي وَالَهُ يَسْتَعِيدُ

يَا حَبِيبِي ، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !
إِصْدَحِي ، أَيْتَهَا الْأَرْوَاحُ ، بِاللَّحْنِ الْبَدِيعِ
إِمْرَحِي ، يَا رَاقِصَاتُ الضُّوءِ ، بِالْمَوْجِ الْخَلِيعِ
قَبِّلِي ، تَحْتَ شِرَاعِي ، حُلْمَ الْفَنِّ الرَّفِيعِ
زُورِقًا بَيْنَ ضَفَافِ النَّيْلِ فِي لَيْلِ الرَّبِيعِ
رَنَحَتْهُ مَوْجَةٌ تَلْعَبُ فِي ضَوْءِ النُّجُومِ
وَتَنَادَى بِشِعَاعِ رَاقِصٍ فَوْقَ الْغَيُومِ

يَا حَبِيبِي ، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !
لَيْلُنَا خَمْرُ وَأَشْوَاقُ تُغْنِي حَوْلَنَا
وَشِرَاعُ سَابِجٍ فِي النُّورِ يَرْعَى ظِلَّنَا

كَانَ فِي اللَّيْلِ سُكَارَى ، وَأَفَاقُوا قَبْلَنَا
 لَيْتَهُمْ قَدْ عَرَفُوا الْحَبَّ فَبَاتُوا مِثْلَنَا
 كُلُّمَا غَرَّدَ كَأْسٌ شَرَبُوا الْخُمْرَةَ لَحْنًا
 يَا حَبِيبِي ، كُلُّ مَا فِي اللَّيْلِ رُوحٌ يَتَغَنَّى
 هَاتِ كَأْسِي ، إِنَّهَا لَيْلَةُ حُبِّي
 أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !
 يَا ضِفَافَ النَّيْلِ بِاللَّهِ وَيَا خُضْرَ الرِّوَابِي
 هَلْ رَأَيْتُنِي عَلَى النَّهْرِ فَتَى غَضُّ الْإِهَابِ
 أَسْمَرَ الْجَبْهَةِ كَالْخُمْرَةِ فِي النُّورِ الْمَذَابِ
 سَابِحًا فِي زَوْجَرٍ مِنْ صُنْعِ أَحْلَامِ الشَّبَابِ ؟
 إِنَّ يَكُنْ مَرٌّ وَحِيًّا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبٍ
 فَصِفِيهِ ، وَأَعِيدِي وَصْفَهُ ، فَهُوَ حَبِيبِي !
 يَا حَبِيبِي ، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي
 أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !
 أَنْتِ يَا مَنْ عُدَّتِ بِالذِّكْرِ وَأَحْلَامِ اللَّيَالِي
 يَا ابْنَةَ النَّهْرِ الَّذِي غَنَّاهُ أَرْيَابُ الْخِيَالِ
 وَتَمَنَّتْ فِيهِ لَوْ تَسْبَحُ رِيَّاتُ الْجَمَالِ
 مَوْجُهُ الشَّادِي عَشِيقُ النُّورِ ، مَعْبُودُ الظُّلَالِ

لم يَزَلْ يَرَوِي ، وتُصْغَى للرواياتِ الدهورُ
والضفافُ الخضِرُ سَكْرَى ، والسُّنَى كَأْسُ تدورُ
حُلُمٌ لم تَرَوْه لَيْلَةً حُبٌّ
فانكريه ، واسمعي أفراحَ قلبي !



٥ - العام الهجرى الجديد

غَنُّ بِالْهَجْرَةِ : عَاماً بَعْدَ عَامٍ
وَادْعُ لِلْحَقِّ ، وَيَشْرُ بِالسَّلَامِ
وَتَرْسُلُ ، يَا قَصِيدَى ، نَغْمًا
وَتَنْقُلُ بَيْنَ مَوْجٍ وَ غَمَامِ
صَوْتُكَ الْحَقُّ ، فَلَا يَأْخُذُكَ مَا
فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مِنْ بَغْيٍ وَ ذَامِ
كُنْ بِشِيرَ الْحَبِّ وَالنُّورِ إِلَى
مُهْجِ كُلِّمَى ، وَأكْبَادِ دَوَامِ
هَجَرَتِ أوطَانَهَا وَاغْتَرِبَتْ
فِي مِثَالِي مِنَ الْمَبْدِإِ سَامِ
انْفَتَتْ عَيْشَ الرَّقِيقِ الْمَجْتَبَى
وَأَبَتْ نُلَّ الضُّمِيرِ الْمُسْتَضَامِ
يَا دُعَاةَ الْحَقِّ : هَذَى مَحْنَةً
تُشْعِلُ الرُّوحَ بِمَشَبُوبِ الضَّرَامِ
هَذِهِ حَرْبُ حَيَاةٍ ، أَوْ حِمَامِ
وَصِرَاعُ الْخَيْرِ ، وَالشَّرِّ الْعُقَامِ

خاضها الإسلامُ فرداً ، وهدي
 بيراغ ، وتحدي بحسام
 هجرة كانت إلى الله ، وفي
 خطوبها : مولد أحداثِ جسام
 أخطأ الشيطانُ مسراها ، فيا
 ضلّة الشيطانِ في تلك الموامي !
 أب بالخبيّة من غيائته
 وهو فوق الأرضِ ملعونُ المقام
 صفحات من صراعِ خالدٍ
 ضمنت كلّ فخرٍ ووسام
 لم تتج يوماً لجبارٍ طقى
 أو لباغٍ فاتك السيفِ عرام
 بل لداعٍ أعزلٍ في قومه
 مستباح الدّم مهدور الدّمام
 زلزل العالم من أقطاره
 يقوى الروح على القوم الطغام
 وينى أولّ دنيــــــــــــــــا حرة
 برئت من كلّ ظلم وأثام

تَسْعُ النَّاسَ عَلَى أَلْوَانِهِمْ
لَمْ تَفَرِّقْ بَيْنَ أَرِيٍّ وَسَامِيٍّ

* * *

حَاطِمَ الْأَصْنَامِ : هَلْ مِنْكَ يَدٌ
تَذَرُ الظَّلْمَ صَدِيعاً مِنْ حُطَامٍ ؟
لَمْ تُطَقِّهَا حَجَراً أَوْ خَشَباً
وَيُطَاقُ الْيَوْمَ أَصْنَامُ الْأَنَامِ !!
وَعَجِيبٌ صُنْعُهُمْ فِي زَمَنِ
أَبْصَرَ الْأَعْمَى بِهِ وَالْمَتَّعَامَى !

وَتُرْجَى عَوْدَةُ الْمَجْدِ الَّذِي
أَعْجَزَ الْبَانِي ، وَأَعْيَا الْمَتَّعَامَى
مِنْ بِيوتِ هَاشِمِيَّاتِ الْبَنَى
وَعُرُوشِ أُمَوِيَّاتِ الدَّعَامِ
وَنَتَاجِ مِنْ نُهَى جَبَّارَةٍ
وَتَرَاثٍ مِنْ حَضَارَاتِ ضَخَامِ
قُلْ لَهَا ، يَا عَامُ : لَا هُنَّتِ ، وَلَا
كُنْتُ إِلَّا مَهْدَ أَحْرَارٍ كِرَامِ
ذَاكَ مَجْدٌ لَمْ يَنْلَهُ أَهْلُهُ

بِالْتَمَنَّى ، وَالتَّغْنَى ، وَالْكَلَامِ

بل بالآلم ، وصبر وضنى
ودموع ، ودم حرّ سجام
قلّ لها : إن الرّحى دائره
والليالى بين كرّ وصدام
فاستعدى لغدٍ إن غداً
نَهْزَةُ السَّبَّاقِ فى هذا الزحام !
واجمعى أمرك لليوم الذى
يَحْمِلُ البُشْرَى لعُشَّاق السلام !



٦ - البحيرة

عن الفونس لامارتين

ليت شعري أهكذا نحنُ نمضي
في عُبابٍ إلى شواطئ غُمضٍ
ونخوضُ الزمانَ في جُنحِ ليلٍ
أبدى ، يُضنى النفوسَ ويُنضى
وضفافُ الحياةِ ترمقُها العيـ
نُ فبعضُ يمرُّ في إثرِ بعضٍ
دونَ أنْ نملكَ الرجوعَ إلى ما
فاتَ منها ، ولا الرسوُ بأرضٍ ؟

* * *

حدّثي القلبَ ، يا بحيرةُ ، مالى
لا أرى « أولفير » فوقَ ضفافِكُ
أوشكَ العامُ أن يمرَّ ، وهذا
موعدُ اللقاءِ في مُصطافِكُ
صخرةُ العهدِ ! ويك ، هأنذا عدُّ
تُ ، فماذا لديكِ عن أضيافِكِ ؟

عدتُ وحدي أرعى الضفافَ بعينِ
سفكتُ دمعها الليالي السوافكُ

* * *

كنتُ بالأمسِ تهدرينَ كما أنـ
تِ هديرأ يهزُّ قلبُ السكونِ
وضفافُ أمواجها يتداعـ

ين على هذه الصخورِ الجونِ
والنسيمُ العليلُ يدفعُ وهنًا
زَيْدَ الموجِ للرُّبى والحـزونِ
ملقياً رغوها على قَدَمَيْهَا
لَيْنَ المسِّ مستحبُّ الأنينِ

* * *

أُثرى تذكـرينَ ليلةً كنا
منك فوقَ الأمواجِ ، بينَ الضفافِ
وسرى زودقُ بنا يتهدى
تحتَ جنحِ الدُّجى وسترِ العفافِ ! ؟
فى سكونٍ ، فليسَ نسمعُ فوقَ المـ
وجِ إلا أغانيَ الجـدافِ

تتلاقى على الرُّبى والحوافى

بأننا شيد موجك العزاف ؟ ؟

* * *

وعلى حين غرة رن صوت

لم يُعوذ سماعة إنسى

هبط الشاطيء الطروب فما يُسم

مع فيه للهاتفات دوى

وإذا الليل ساهم سكّن النو

إليه وأنصت اللجى

يتلقى عن نبأة الصوت نجوى

كلمات ألقى بهن نجى

* * *

يا زماناً يمر كالطير مهلاً

طائر أنت ؟ ويك ، قف طيرانك !

أهنا الساعات تجرى وتعدو

نا عطاشاً ، فقف بنا جريانك !

ويك دعنا نمرح بأجمل أيا

م ونلقى ، من بعد خوف ، أمانك

وإذا نحن لَذَّة العيش ذقنا
ها ومـررت بنا فـدُر دَوْرَانك !

* * *

بيد أن الشقاء قد غمر الأر
ض وفاض الوجود بالتاعسينا
كلهم ضارِعُ إليك يرجيكَ
فأسرع ! أسرع ! إلى الضارعينا
وافترس مشقيات أيامهم وامـ
ضِ رحي تطحنُ الشقاء طحونا
رحمةً ، فانكرِ النفوس الحزاني
وانس ، يا دهرُ ، أنفس الناعمينا !

* * *

عبتاً أنشدُ البقاء لعهدٍ
يَقْلُتُ اليـومَ من يدي ويفرُ
وسويعات غبطة ما أراها
وشيكاً ما تنقضي وتمرُ
وانادي يا ليلة الوصلِ قرى
إن بعد السرى يطيبُ المقرُ

أسفًا للصُّبا وغرَّ ليالٍ
ليس يُبقى على صباهنَّ فجرٌ

* * *

فلنحبَّ الغداةَ ولنحىَّ حبًّا
ولنكنَّ في الحياةِ بعضاً لبعضٍ
ولنسارعُ فنقتفى إثرَ ساعا
تٍ فقد تؤذنُ النوى بالتقضى
إننا في الحياةِ في عُرُضٍ بحرٍ
ليس نُلقى المرساةَ فيه بأرضٍ
ما به مرفأٌ يبينُ ولكنَّ
نحن نمضى في لجئه ، وهو يمضى !

* * *

أكذا أنتَ ، أيها الزَّمَنُ الحا
قد ، تغتالُ نشوةَ اللحظاتِ ؟
حيثُ يُزجى لنا السعادةُ أموا
جأ من الحبِّ زاهرُ اللجاتِ ؟
أكذا أنتَ ، ذاهبٌ بليالى الصـ
فروعنا سريعةَ الخطواتِ ؟

أكذا تنقضى مِلاوةُ نعما

ها كما ينقضى شقاءُ الحياة ؟

* * *

كيفَ حَدَّثُ : أغالها منك صرفُ

فى أبیدِ الزَّمانِ حيثُ طواها ؟

ويكَ ، قل لى ، أليسَ نملكُ يوماً

أن نراها ؟ أما تبينُ خطاها ؟

أتراها ولتُ جميعاً ، ولما

تبقى حتى أثارها ، أتراها ؟

أوَذاكَ الدهرُ الذى افتنَّ فى صو

غ صباها هو الذى قد محاها ؟

* * *

أيُّ هذا الزَّمانُ ، والعدمُ العا

تى ، غريقين فى سكونٍ وصمتٍ

أى عميقَ اللجاتِ : ماذا بآيا

م صباها ؟ ماذا بهنَّ صنعتِ ؟

حدثينى ، أما تعيدينَ ما من

سكراتِ الغرامِ منا اختطفَتِ ؟

أَوْ مَا تُطْلِقِينَهَا مِنْ دِيَا جِبِ

كَ ؟ أَمَا تَبْعَثِينَهَا بَعْدَ مَوْتِ ؟

* * *

أَنْتِ ، يَا هَذِهِ الْبَحِيرَةُ ، مَاذَا

يَكْتُمُ الْمَوْجُ فَيْكِ وَالشَّطَّانُ

أَيُّهَا الْغَابَةُ الظَّلِيلَةُ رُدِّي

أَنْتِ ، يَا مَنْ أَبْقَى عَلَيْهَا الزَّمَانُ

وَهُوَ يَسْطِيعُ أَنْ يُجِدَّكَ حَسَنًا !!

إِحْفَظِي لَا أَصَابُكِ النِّسْيَانُ !!

قَلْ حَفْطًا أَنْ تَذْكُرِي لَيْلَةً مَرَّةً

تُ وَأَنْتِ الطَّبِيعَةُ الْحَسَنَةُ

* * *

لِيَكُنْ مِنْكَ ، يَا بَحِيرَةُ ، مَا لَجُ

بِكَ الصَّمْتُ أَوْ جَنُونُ أَصْطَخَابِكَ

فِي مَغَانِيكَ حَالِيَاتٍ تَرَاهِي

ضَاكِكَاتٍ عَلَى سَفُوحِ هِضَابِكَ

فِي مَرْوَجِ الصُّنُوبِ الْحَوِّثِ تَهْفُو

سَابِغَاتُ الْأَلْيَافِ حَوْلَ شَعَابِكَ

فى نتوءِ الصخورِ ، مشرفةِ الأعنا
قِ ، بيضاً ، تُطلُّ فوقَ عُبَابِكُ

* * *

وليكنْ فى العُبابِ يهدرُ أمـ
سواجاً على شاطئيك مثلَ الرعودِ
فى انتحابِ الرياحِ تُعول فى الودىـ
انِ إعوَالِ قلبى المفقودِ
فى صدَى الجدولِ الموقعِ أنا
تِ حشاهُ بالجنْدلِ الجلمودِ
فى شذاكِ السرىُّ ينشقُّ منه الـ
قلبُ رِياً فردوسهِ المفقودِ ! ؟

* * *

وليكنْ فى التسييمِ ما هبُّ سار
يهِ يجوبُ الشيطانَ نحوكِ جوباً
فى جبينِ النجمِ اللجينىُّ يلقى
فضةَ الضوءِ فى مياهِكِ ذوباً
وليكنْ فى شتيتِ ما تسمعُ الأذ
نُ ، وفيما نراهُ عيناً وقلباً

ليكنْ هاتفٌ منَ الصوتِ يتلو

« قد أحباً وأخلصاً ما أحباً ،



٧ - قبر شاعر

رثاء فوزى المعلوف

رُفْتُ عَلَيْهِ مَوْرَقَاتُ الْغُصُونِ
وَحَقَّقَهُ الْعَشْبُ بِنَوَارِهِ
ذَلِكَ قَبْرٌ لَمْ يُشَدِّهِ الْمَنُونُ
بَلْ شَادَهُ الشَّعْرُ بِأَثَارِهِ
أَقَامَهُ مِنْ لِبْنَاتِ الْفَنُونِ
وَزَانَهُ الْمَجْدُ بِأَحْجَارِهِ
أَلْقَى بِهِ الشَّاعِرُ عِبَاءَ الشَّجُونِ
وَأَوْدَعَ الْقَلْبَ بِأَسْرَارِهِ

* * *

وَجَاوَرَتْهُ نَخْلَةٌ بِأَسْفَقِهِ
تَجَسَّمُ فِي الْوَادِي إِلَى جَنْبِهِ
كَأَنَّهَا الثَّالِكَةُ الْوَامِقَةُ
تَقْضِي مَدَى الْعُمُرِ إِلَى قَرْبِهِ
تَتَنُّ فِيهَا النِّسْمَةُ الْخَافِقَةُ
كَأَنَّمَا تَخْفِقُ عَنْ قَلْبِهِ

وُتْرَسَلُ الْأَغْنِيَّةُ الشَّائِقَةُ

قَمْرِيَّةٌ ظَلَّتْ عَلَى حَبِّهِ

* * *

وَيُقْبَلُ الْفَجْرُ الرَّقِيقُ الْإِهَابُ

يَحْنُو عَلَى الْقَبْرِ بِأَضْوَائِهِ

كَأَنَّمَا يَنْشُدُ تَحْتَ التُّرَابِ

لَوْلَوْ تُزْرَى بِلَلَّائِهِ

إِسْتَلَّ مِنْهَا الْمَوْتُ ذَاكَ الشَّهَابُ

غَيْرَ شُعَاعٍ ، فِي الدُّجَى ، تَائِهٍ

يَظَلُّ يَهْفُو فَوْقَ تِلْكَ الشُّعَابِ

يَطُوفُ بِالْيَنْبُوعِ مِنْ مَائِهِ

* * *

وَيَذْهَبُ النُّورُ وَيَأْتِي الظُّلَامُ

وَتَبْزَغُ الْأَنْجُمُ فِي نَسَقِهِ

حَيْرَى ، تَحُومُ اللَّيْلُ كَالْمُسْتَهَامِ

أَسْهَرُهُ النَّائِرُ مِنْ شَوْقِهِ

تَبْحَثُ عَنْ نَجْمٍ بِتِلْكَ الرَّجَامِ

هَوَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ عَنْ أَفْقِهِ

أخُ لها فى الأرضِ ودُ المقامُ
وأثر الغربِ على شرقه

* * *

ويُطلقُ الطيرُ نشيدَ الصبحِ
بنغمةٍ تصدُرُ عن حُزنه
يَمُدُّ فوقَ القبرِ منه الجناحُ
ويرسلُ النُقارَ فى ركنه
أفضى إلى الراقدِ فيه وباحُ
بأنَّه اللهم من فَنِّه
فَمِنْ قوافيه استمدُّ النُواحُ
ومن أغانيه صدى لحنه

* * *

وحين تمضى نَسَمَاتُ الخريفِ
وتملأُ الأرضُ رياحُ الشتاءِ
ويقبلُ الليلُ الدُّجى المخيفُ
فلا ترى نجماً يَنيرُ السماءَ
هناك لا غصنٌ عليه ورَيْفُ
يهفو ، ولا طيرٌ يثيرُ الغناءَ

يظللُ الأرضَ الظلامُ الكثيفُ
كأنما تُمسي بوادي الفناء

* * *

يا شاعراً ما جمعتني به
كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارِ
لكنهُ الشرُّقُ وفي حُبِّهِ
ينأى بنا الشوقُ وتدنو الديارُ
سكبتُ من شجوكَ في قلبه
ومن مآقيكَ الدموعُ الغزارُ
فـودُّ أن لو نِمْتُ في تربيهِ
ليشفيَ النفسَ بهذا الجوارُ

* * *

قد راعني موتُكَ ، يا شاعري
في ميعَةِ العمرِ وفجرِ الشبابِ
وهزَّنِي ما فاضَ من خاطرِ
كانَ ينابيعَ البيانِ العذابُ
ونفثاتُ القَلَمِ الساحرِ
في جوبِكَ الأفقَ وطىَّ السحابُ

ووقفه بالكوكبِ الحائرِ
رأى بساطَ الريحِ يدنو فهَابُ

* * *

لكنه شـوركُ لما يَزلُ
يُردُّ الكونُ أناشيدهُ
شِعْرُ كَصُوبِ الغيثِ أنى نزلُ
أرقصَ فى الرّوضِ أماليدهُ
وعلمَ الطيرَ الهوى والغزلُ
فأسمعَ الزهرَ أغاريدَهُ
وغنّتِ الريحُ به فى الجبلُ
فحركتُ منه جلاميدَهُ

* * *

يا قبرُ لم تُبصرِكَ عيني ولا
رأتكَ إلا فى ثنايا الخيالِ
ملأتْ بالرّوعِ فؤاداً خلا
إلا من الحبِّ ونورِ الجمالِ
أوحيتْ لى سرُّ الردى فأنجلى
عن عيني الشكُّ وليلُ الضلالِ

هَذَا سَتَطْوِي الْقَلْبَ أَيْدِي الْبَلَى
وَيَقْنَصُ النِّجْمَ عَقَابُ اللَّيَالِ

* * *

هَكَذَا تَمْضِي لِيَالِي الْحَيَاةِ
وَالْقَبْرِ مَا زَالَ عَلَى حَالِهِ
دُنْيَا مِنْ الْوَهْمِ وَدَهْرٌ تَرَاهُ
يَغْرُرُ الْقَلْبَ بِأَمْسَالِهِ
يَسْخَرُ مِنْ مَبْتَسِمَاتِ الشِّفَاهِ
وَجَامِدِ الدَّمْعِ وَسَيَّالِهِ
دَهْرٌ عَلَى الْعَالَمِ دَارَتْ رِحَاهُ
فَلَمْ تَدَعْ رَسْمًا لِأَطْلَالِهِ

❦ ❦ ❦

٨ - شاعر مصر

فى رثاء حافظ إبراهيم

دَعَوْتَ خَيَالِي فاستجابتُ خواطري
وحَدَّثَنِي قَلْبِي بِأَنَّكَ زَائِرِي
عَشِيَّةَ أَغْرَى بِي الدُّجَى كُلَّ صَائِحِ
وَكُلَّ صَدَى فِي هَذِهِ اللَّيْلِ عَابِرِ
أَقُولُ مَنْ السَّارَى ؟ وَأَنْتَ مُقَارِبِي
وَاهْتَفُ بِالنُّجُوى ، وَأَنْتَ مُجَاوِرِي
أَحْسُكَ مِلءَ الْكَوْنِ رُوحاً وَخَاطِراً
كَأَنَّكَ مَبْعُوثُ اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
وَمِثْلَ لِي سَمْعِي خُطَاكَ ، فَخَلَّتْهَا
صَدَى نَبَأٍ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ صَادِرِ
سِوَى خَطَرَاتٍ مِنْ بَنَانٍ رَفِيقَةٍ
طَرَقَتْ بِهَا بَابِي فَهَبْتُ سِرَائِرِي
عَرَفْتُكَ ، لَمْ أَسْمَعْ لَصَوْتِكَ نَبَأَةً
وَشِمْتُكَ ، لَمْ يَلْمَحْ مُحْيَاكَ نَاضِرِي
أَرَى طَيِّفَ مَعْشُوقٍ ، أَرَى رُوحَ عَاشِقٍ
أَرَى حُلْمَ أَجْيَالٍ ، أَرَى وَجْهَ شَاعِرِ

* * *

إِلَيْكَ ضِفَافَ النِّيلِ ، يَا رُوحَ حَافِظٍ ،
فَجَدُّ بِهَا عَهْدَ الْإِنْسِ الْمُسَامِرِ
وَسَاقِطَ جَنَاهَا مِنْ قَوَافِيكَ سَلْسَلًا
رَخِيماً كَأَرْهَامِ النَّدَى الْمُتَنَائِرِ
سَرَتْ فِيهِ أَرْوَاحُ النَّدَامَى ، وَصَفَّقَتْ
كُؤُوسٌ عَلَى ذِكْرِ الْغَرِيبِ الْمُسَافِرِ
نَجَى اللَّيَالَى الْقَاهِرِيَّاتِ : طُفَّ بِهَا
خَيَالَةُ ذِكْرِي ، أَوْ عَلَالَةُ ذَاكِرِ
وَجُزْءِ عَالَمِ الْأَشْبَاحِ ، فَالْلَيْلُ شَاخِصٌ
إِلَيْكَ ، وَأَضْوَاءُ النُّجُومِ الزُّوَاهِرِ
وَطَالِعُ سَمَاءٍ فِي مَعَارِجِ قُدْسِهَا
مَرَحَتْ بِوُجْدَانٍ مِنَ الشُّعْرِ طَاهِرِ
وَسَلَسَلَتْ مِنْ أُنْدَائِهَا وَشُعَاعِهَا
جَنَى كَرَمَةٍ لَمْ تَحْرِهَا كَفٌّ عَاصِرِ
تَدَفَّقَ بِالْخَمْرِ الْإِلَهَى كَأْسُهَا
فَغَرَّدَ بِالْإِلْهَامِ كُلُّ مُعَاقِرِ
عَلَى النَّيْلِ رُوحَانِيَّةٌ مِنْ صَفَائِهَا
وَلَا لَأُفَجِّرُ عَنْ سَنَا الْخُلْدِ سَافِرِ

فصافحُ بعينيكَ الديَّارَ فطالما
مددتَ على أفاقِها عينَ طائرٍ
وخذُ في ضفافِ النهرِ مسراكَ ، واتَّبِعْ
خطى الوحيِّ في تلكَ الحقولِ النواصرِ
حدائقُ فرعونٍ بدقائقِ نهرِها
وجنتُها ذاتُ الجنى والأزاهِرِ
وفي شُعبِ الوادى ، وفوقَ رماله
عصى نبيٍّ ، أو تهاويلُ ساحرِ
صوامعُ رُهبانٍ ، محاريبُ سُجُدٍ ،
هياكلُ أربابٍ ، عروشُ قياصرِ
سرى الشعرُ في باحاتها روحَ ناسكٍ
وترديدُ أنفاسٍ ، ونجوى ضمائرِ
وهمسُ شِفاهٍ تَشمَلُ الروحُ عندهُ
وتسبِّحُ في تيهٍ من السَّحرِ غامرِ
هو الشعرُ ، إيقاعُ الحياةِ وشدوُّها
وحلمُ صباها في الربيعِ المُبكرِ
وصوتُ بأسرارِ الطبيعةِ ناطقُ
ولكنه روحٌ ، وإبداعُ خاطِرِ

وَوَيْبَةُ ذِهْنٍ ، يَقْنِصُ الْبَرْقَ طَائِرًا
وَيَغْزُو بَرْوَجَ النُّجْمِ غَيْرَ مُحَازِرٍ
فِيَا دُرَّةً لَمْ يَحْوِهَا تَاجٌ قَيْصَرٍ
وَلَا انْتَضَمَتْ إِلَّا مَفَارِقُ شَاعِرٍ
تَأَلَّهِ فِيكَ الْقَلْبُ وَاسْتَكْبَرَ الْحِجَى
عَلَى دَعَا ، مِنْ تَحْتِهَا رُوحُ ثَائِرٍ
إِذَا اعْتَرَضَ الْجَبَّارُ ضَوْعَكَ شَامَخًا
تَلَقَّيْتَهُ كِبْرًا بِبَسْمَةِ سَاخِرٍ
لَسْتَ حَدِيدَ الْقَيْدِ فَاِنْحَلْ نَظْمُهُ
وَأَطْلَقْتَ أَسْرَى مِنْ بَرَاثِنِ أَسِيرٍ
وَمَا زِدْتَ فِي الْأَحْدَاثِ إِلَّا صِلَابَةً
إِذَا النَّارُ نَالَتْ مِنْ كِرَامِ الْجَوَاهِرِ
يَزِينُ بِكَ الرَّاعِي سَقِيْفَةَ كُوْخِهِ
فَتَخْشَعُ حَيْرَى نِيرَاتِ الْمَقَاصِرِ
أَضَاعُوكَ فِي أَرْضِ الْكَنُوزِ ، وَمَا دَرَوْا
بِأَنَّكَ كَنْزٌ ضَمَّ أَعْلَى الذُّخَائِرِ
وَهُنْتُ عَلَى مَهْدِ الْفَنُونِ ، وَطَالَمَا
سَمَوْتَ بِسُلْطَانٍ مِنَ الْفَنِّ قَاهِرٍ

إذا افتقد التاريخُ آثارَ أمةٍ
أشربتِ بما خلّدتِه من مآثرِ

* * *

سَلاماً ، سَلاماً ، شاعرَ النبلِ : لم يزلْ
خيالكُ يَغْشَى كلَّ نادٍ وسامرِ
وشعركُ في الأفواهِ إنشادُ أمةٍ
تغنتُ بـماضٍ واستعزّتُ بحاضرِ
وذكراكُ نجوى البائسينَ ، إذا هفتُ
قلوبٌ ، وحارتُ أنمُعُ في المحاجرِ
يدلُّ عليك القلبُ أناتُ بائسٍ
ونظرةُ مخزونٍ ، وإطراقُ سابرِ
وما أنتَ إلا رائدٌ من جماعةٍ
توالوا تباعاً بالنفوسِ الحرائرِ
صَحَّتْ بادياتُ الشرِّقِ تحتَ غُبارِهِمْ
على شدوِ أقلامٍ ولمعِ بواترِ
وفى القِمَمِ الشُّمَاءِ ، مِنْ صَرَخَاتِهِمْ ،
صدى الرعدِ في عَصْفِ الرياحِ التُّوائرِ
يضيئونَ في أفقِ الحياةِ كأنَّهُمْ
على شَطْها النَّائِي منارةٌ حائرِ

فيا شاعراً غنىً فرقاً لشجوه
جفاءً الأيالي ، واعتسافُ المقاديرِ
لَكَ الدهرُ ، لا ، بل عالمُ الحسِّ والنهي
خميلةٌ شادٍ أخذٍ بالمشاعرِ
فتمَّ في ظلالِ الشرقِ ، واهناً بمضجِ
ندىٍّ بأنفاسِ النُبِيِّنَ عاطِرِ
ووسدٌ ثراه الطهرَ جَنَّبَكَ وانتَظِمَ
لِداتِكَ فيهِ ، فهو مهْدُ العباقِرِ



٩ - شوقي

فى رثاء الشاعر احمد شوقي

هَجَرَ الارضَ حينَ ملَّ مقامه
وطوى العمرَ حيرةً وسامه
هَيَّكَلَ من حقيقَةٍ وخيالٍ
مَلَّكَ الحبُّ و الجمالُ زمامه
أَلْهَمَ الشعورُ أصغريه فرقاً
فى فَمِ الدهرِ كوثرأ و مُدامه
سلسبيلُ من حكمةٍ و بيانٍ
فَجَرَّ اللهُ منهما إلهامه
تَأَخَذُ القلبَ هَزَّةً من تساهل
قيه ، وَيُنْسَى بسحره ألامه
غَمَرَ الارضَ رحمةً وسلاماً
وجلا الكونَ فتنةً ووسامه
مالنأ مِسْمَعِ الوجودِ نشيداً
عَلَّمَ الطيرَ لحنهً وانسجامه
ماله و الزمانُ مصغرٌ إليه
رَدُّ أوتاره و حطْمُ جامة ؟

رُوعَ الطيرُ يومَ غابَ عن الأيـ

كٍ وسالتُ جراحُها الملتامة

ما الذى شاقهُ إلى عالمِ الرؤ

ح ؟ أجلْ تلكَ روحهُ المستهامة !

راعها النورُ وهى فى ظلمة الكـ

كونٍ فخفتُ إليه تطوى ظلامه

هى بنتُ السماءِ وهو من

الأرضِ سليلُ نما الترابُ عظامه

فاهتفوا باسمه فما مات ، لكنْ

أثرَ اليومِ فى السماءِ مُقامه !

* * *

حدثتني الرياضُ عنه صباحاً

ما لصدأجها جفا أنغامه ؟

وشكا لى النسيمُ أولَ يومٍ

لم يُحمِّلهُ للحبيبِ سلامه

وتسمعتُ للغديرِ يُنادى

ما الذى عاقَ طيرهَ وحيامه ؟

أُترأه ترشَّفَ الفجرَ نوراً

أم شفى من ندَى الصباحِ أوامه

ورأيتُ الجمالَ في شُعبِ الوادى
 ينادى بطاحه و أكامه
 صارخاً يستجيرُ شاعره الشـ
 لادى ، ويدعو لفته رسامة
 فتَلَفْتُ باكياً وبعينى
 شبحُ تخطرُ المنونُ أمامه
 هتفَ القلبُ بالمنادين حولى :
 لَقِيَ الصادحُ الطروبُ حمامة
 فانكروا شدوه بكل صباح
 وارقبوا من خياله إمامه
 واملأوا الأرضَ والسماءَ هتافاً
 علّه لم يرَ الصبـاحَ فنامه
 * * *
 لم يرعنى من جانبِ النيلِ إلا
 كرمه فوقها ترفُ غمامه
 تحت ساجى ظلالها زهرة تبـ
 كى ، وفى قرعها تنوحُ حمامة
 عرفتُها عينى ، وما أنكرتها ،
 من ظلامٍ و وحشةٍ و جهامة

قلتُ يا كَرَمَةَ ابنِ هانى سَلاماً
 ليسَ للمرءِ فى الحياةِ سَلامه
 نحنُ ، لو تعلمينَ ، أشباحُ ليلِ
 عابرٍ يَنسُخُ الضياءَ ظلامه
 والذى تلمحينَ من لَهَبِ الشـ
 مسِ غداً يُطفئُ الزمانَ ضرامه
 والذى تبصرينَهُ من نجومِ
 فلكٍ يرصدُ القضاءَ نظامه
 عبثاً تُنشدُ الحياةَ خلوداً ،
 ونرجى الصُّبَا ، ونبغى دوامه
 إنما الأرضُ قبرُنا الواسعُ الرحـ
 بٌ وفى جوفهِ تطيبُ الإقامة
 أودعَ القلبُ فيهِ الأَمه الكـ
 بدى ، وألقى ببابه أحلامه
 نَسِيَ الناعمونَ فيه صباهُم
 وسلا المغرمُ المشوقُ غرامه
 فامسحِ الدمعَ وابسمى للمنايا
 إنْ دنياءُ دمعهُ وابتسامه ! !

* * *

أيها المسروحُ الحزينُ عزاءُ
قد فقدتَ الغداةَ أقوى دِعامه
ذهبَ الشاعرُ الذي كنتَ تستو
حي وتستلهمُ الخلودَ كلامه
ولكَ اليومَ همّةٌ في شبابٍ
ملأوا العصرَ قوةً و همامةً
نزلوا ساحةً يشيدونَ للمجـ
دٍ وشقوا إلى الحياةِ زحامه
فاذكروا نهضةَ البيانِ بأرضٍ
أطلعتُ في سمائها أعلامه
إنها أمةٌ تغارُ على الفنِّ
وترعى عهدَه و ذمامه
لم تزلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ في الشر
قٍ ، وفي كفِّها لواءُ الزعامه
إنَّ يوماً يفوتُها السبقُ فيه
لهوَ يومُ المعادِ يومُ القيامةِ !!



١٠ - سورية وعيد الجلاء

تحية استقلال سورية

ورثاء صبرى ابو علم

هَنَّا تُ بِاسْمِكَ تَحْتَ الشَّمْسِ أَحْرَاراً
يَنْدَى هَوَاكِ عَلَى هَامَاتِهِمْ غَاراً
دَمَشَقُ ! يَا بِلَدَ الْأَحْرَارِ ، أَيُّ فِتْيَ
لَمْ يَمْتَشِقْ فِيكَ سَيْفًا أَوْ يَخُضْ نَارًا ؟ !
ذَوْدًا عَنِ الْوَطَنِ الْمَعْبُودِ ، مِنْ دَمِهِ
لِلْمَجْدِ يَبْنِيهِ أَطَامًا وَأَسْوَاراً
زَكَّتْ « أُمِّيَّة » فِي أَعْرَاقِهِ وَجَرَتْ
دَمًا يُرَوِّى الثَّرَى أَوْ يَغْسِلُ الْعَارَا
عِيدُ الْجَلَاءِ أَسْمِيهِ وَأَعْرِفُهُ
يَوْمُ تَبَارَكَ أُنْدَاءُ وَأَسْحَارَا
جَلَا عَنِ الشَّرْقِ لَيْلُ الْبَغْيِ حِينَ جَلَا
عَرُوبُهُ فِيكَ تَلْقَى الْأَهْلَ وَالْدَارَا
لَوْلَا مَصَابٌ دَهَى الْوَادِي فَشَبَّ بِهِ
نَارًا ، وَهَاجَ النَّسِيمَ الْعَذْبَ إِعْصَارَا

ودَّوعَ الأُمّةِ الغلباءِ فى رَجُلٍ
شدَّتْهُ قوساً ، وسلَّتْ منه بئارا
من النوايغِ أعماراً إذا قصرتُ
مدُّ النبوغِ لهم فى الخلدِ أعمارا
أحرارُ مملكةٍ فى الرأى ما أثموا
سمَّاهموا الغاصبُ الظلامُ ثوارا
ثاروا على القيدِ حتى انحَلُّ ، واقتحموا
على الطواغيتِ حصنَ الظلمِ فانهارا
... لولاهُ كانَ إليكِ البرقُ راحلتى
أطوى به الجوّ أفاقاً وأقطاراً
وجئتُ «فيحاء» أزجى الشعرِ مُفتَقِداً
تحتَ الصفائحِ مقداماً ومغواراً
والمفتدونَ ، شُراةُ الخلدِ ، قُلُّ لهمو
ما ينظّمُ المدحُ الحاناً وأشعاراً !



١١ - بطل الريف : عبد الكريم الخطابي

لا السيفُ قرُّ ولا المحاربُ عاداً
وسسيحَ البشيرِ ! بأى سلم نادى ؟
الأرضُ من أجسادٍ من قُتِلوا بها
تَجْنِي العذابَ وتُثَبِّتُ الأحقادا
فاضَ السحابُ لها دماً - مَذْ شَيَّعَتْ
شَمْسَ النهارِ - فخالطته سوادا
رأتِ الحِدادَ به على أحيائها
أتراهمو صبَّغوا السماءَ حِدادا !
ودَّ الطُّغاةُ بكلِّ مَطْلَعِ كوكبٍ
لو أطفأوه وأسقطوه رَمَادا
وتخوَّفُوا وَمَضَ الشَّهَابُ إِذَا هَوَى
وبُرِّقَ كُلُّ غَمَامَةٍ تَهَادَى
ولو انَّهُم وَصَلُوا السَّمَاءَ بِعِلْمِهِم
ضَرَبُوا عَلَى أَفَاقِهَا الْأَسْدَادَا
لولا لَوَامِعُ مِنْ نُهَى وَيَصَانِيرُ
تَغْزُو كَهْـوَفَاً أَوْ تَوُمُّ وَهَادَا

لَمْ يَرِقْ عَقْلٌ أَوْ تَرِقْ سَرِيرَةٌ
وَقَضَى الْوُجُودُ ضَلَالَةً وَفَسَادًا
رَاعَ الطُّغَاةَ شُعَاعُهُ فَتَسَاءَلُوا
مَنْ نَصُّ هَذَا الْكُوكَبِ الْوَقَادَا ؟
إِنْ تَجْهَلُوا فَسَلُّوا بِهِ أَبَاءَكُمْ
أَيَّامَ شَعْ عَدَالَةٍ وَرِغَادَا
هَلْ أَبْصَرُوا حُرِّيَّةً إِلَّا بِهِ
أَوْ شَهِدُوا لِحُضَارَةٍ أَوْتَادَا ؟
حَمَلَتْ سَنَاهُ لَهُمْ يَدٌ عَرَبِيَّةٌ
تَبْنِي الشُّعُوبَ وَتَنْسِجُ الْآبَادَا
هِيَ أُمَّةٌ بِالْأَمْسِ شَادَتْ دَوْلَةً
لَا تَعْرِفُ الْعِبْدَانَ وَالْأَسْيَادَا
جُرْتُمْ عَلَيْهَا ظَالِمِينَ بَعْدَكُمْ
وَعَدِيدِكُمْ تَتَخَايَلُونَ عَتَادَا
وَمَنْعَتُمُوهَا مِنْ مَوَاهِبِ أَرْضِهَا
مَاءٌ بِهِ تَجِدُ الْحَيَاةَ وَزَادَا
فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى فَتَى مِنْ نُورِهَا
قَدَحَتْ بِهِ كَفُّ السَّمَاءِ زِنَادَا

سَلَّتْهُ سَيْفًا كِي يَحْرُرَ قَوْمَهُ
وَيُزِيلَ عَنْ أَوْطَانِهِ اسْتِعْبَادًا
مَا بِالْكُمْ ضِيقُكُمْ بِهِ وَحَشَدَتْكُمْ
مِنْ دُونِهِ الْأَسْيَافَ وَالْأَجْنَادَا ؟
اشْعَلْتُمْ لَهَا ثَوْرَةً دَمَوِيَّةً
لَا تَعْرِفُونَ لِنَارِهَا إِخْمَادًا
حَتَّى إِذَا أَوْهَى الْقِتَالُ جِلَادَكُمْ
وَمَضَى أَشَدُّ بِسَالَةً وَجِلَادًا
جِئْتُمْ إِلَيْهِ تَهَادِنُونَ سَيُوفَهُ
وَسَيُوفَهُ لَمْ تَسْكُنِ الْأَغْمَادَا
وَكَتَبْتُمْوْا عَهْدًا - بِحَدِّ سَيُوفِكُمْ -
مَزَقْتُمُوهُ وَلَمْ يَجِفْ مِدَادًا

* * *

الْأَهْلُ أَهْلُكَ ، يَا أَمِيرُ ، كَمَا تَرَى
وَالدَّارُ دَارُكَ قُبَّةٌ وَ عِمَادَا
أَنْتِ نَزَلْتَ بِمَصْرٍ أَوْ جَارَاتِهَا
جِئْتِ الْعُرُوبَةَ أُمًّا وَبِلَادَا
مَدَّتْ يَدَيْهَا وَ احْتَوَتْكَ بِصَدْرِهَا
أَمْ يَضُمُّ حَنَانُهَا الْوِلَادَا

ولو استطاعت رَدُّ ما استودَعَتْها
رَدَّتْ عَلَيْكَ الْمَهْدَ وَ الْمِيْلَادَا
وَأَتَتْكَ بِالذِّكْرِ الْخَوَالِدِ طَاقَةً
كَأَجَلٍ مَا جَمَعَ الْمَحَبُّ وَهَادَى
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الزُّمَانِ بِصَخْرَةٍ
قَاسَيْتَ فِيهَا غُرْبَةً وَ وَحَادًا ؟
وَبَلَوْتَ مِنْ صَلَفِ الطُّغَاةِ وَعَسْفِهِمْ
فِيهَا اللَّيَالَى وَالسَّنِينَ شِدَادًا ؟
جَعَلُوا الْبَحَارَ ، وَمِثْلَهُنَّ جِبَالَهَا ،
سَدًّا عَلَيْكَ وَأَوْسَعُوكَ بَعَادَا
دَعَاهُمْ ! فَأَنْتَ سَخِرْتَ مِنْ أَحْلَامِهِمْ
وَأَطَرْتَهُنَّ مَعَ الرِّيَّاحِ بَدَادَا
عِشْرِينَ عَامًا ، قَدْ حَرَمْتَ عِيُونَهُمْ
غُمْضَ الْجَفُونِ ، فَمَا عَرَفْنَ رُقَادَا
يَتَلَقَّوْنَ وَرَاءَ كُلِّ جَزِيرَةٍ
وَيَسْأَلُونَ الْمَوْجَ وَ الْأَطْوَادَا
مِنْ أَىِّ وَادٍ .. مَوْجَةٌ هَتَفَتْ بِهِ
وَمَضَى ، فَحَمَلَهَا السَّلَامَ ، وَعَادَا

لو أنصفوا قَدَرُوا بطولَةَ فارسٍ
 لِبِلَادِهِ بِدَمِ الحُشَاشَةِ جَادَا
 نَادَى بِأَحْرَارِ الرِّجَالِ فَقَرَّبُوا
 مُهَجَّأً تَمُوتُ وَرَاءَهُ اسْتِشْهَادَا
 يَدْعُو لِحَقِّ أَوْ لِإِنْسَانِيَّةٍ
 تَأْبَى السَّجُونَ وَتَلْعَنُ الْأَصْفَادَا
 شَيْخَ الْفَوَارِسِ حَسْبُ عَيْنِكَ أَنْ تَرَى
 هَذِي الْفَتْوحَ وَهَذِهِ الْأَمْجَادَا
 « الرِّيفُ » هَبْ مَنَازِلًا وَقِبَائِلًا
 يَدْعُو فَتَاهُ الْبَاسِلَ الذُّوَادَا
 حَنُّ الْحُسَامِ لِقَبْضَتَيْكَ ، وَحَمَّحَمْتُ
 خَيْلٌ تُقَرِّبُ مِنْ يَدَيْكَ قِيَادَا
 وَعَلَى الصُّحَارَى مِنْ صَدَاكَ مَلَا حِمُّ
 تُشْجِي النُّسُورَ وَتُطْرِبُ الْأَسَادَا
 أَوْحَتْ إِلَى الْعُرْبِ الْحُدَاءَ ، وَالْهَمْتُ
 فُرْسَانَهُمْ تَحْتَ الْوَعَى الْإِنْشَادَا
 عَبْدُ الْكَرِيمِ انْظُرْ حَيَالَكَ هَلْ تَرَى .
 إِلَّا صِرَاعاً قَائِماً وَجِهَادَا

الشرقُ أَجْمَعُهُ لواءٌ واحدٌ
نَظَرُ مَ الصفوفِ وهى القوادا
لم يتركِ السيفُ الجوابَ لسائلٍ
أو يَنسُ من مُتَرَقِّبٍ ميعادا
سالتُ خلوقَ الهاتفينَ دماً ، وما
هزوا لطاغيةِ الشعوبِ وسادا
فصنَّ البيانَ بهِ ، وأنطقَ حدُّهُ
يَسْمَعُ إِلَيْكَ ، مَكْرُراً ومُعَادَا
كَذَبَتْ موداتُ الشُّفاهِ ولم أجِدْ
رغمَ العداوةِ كالسيوفِ ودادا



١٢ - الأمسية الحزينة

عند برزخ بين بحيرة المنزلة

وشاطئ البحر المتوسط

جددتِ ذاهبَ أحلامي وليلاتي
فهلْ لديكِ حديثٌ عن صباباتي ؟
يا كعبةً لخيالاتي ، وصومعةً
رتُنتُ في ظلُّها للحسنِ آياتي
للحُبِّ أولُ أشعارٍ هتفتُ بها ،
وللجمالِ بها أولى رسالاتي
عليكِ وادى أحلامي وقفتُ أرى
طيفَ الحوادثِ تمضي بعد مأساةٍ
أوى إلى جنَّباتِ الصخرِ منفردا
أبكي لأمسيةٍ مرَّت وليلاتِ
قد غيَّرتنا الليالي بَعْدَهَا سِيرا
وخَلَّفَتنا العوادي بعضَ أشتاتِ
تلفَّت القلبُ في ليلاءٍ باردةٍ
يبكي لياليكِ الغُرُ المضيئاتِ

وذكرياتٍ من الماضي يُطالعُها
بينَ الحقولِ وشُطآنِ البحيراتِ

* * *

يا طولَ ما نَغَمْتُ للصُّخْرِ أناتِي
وشدُّ ما رجَعْتُ للموجِ أهاتي
يا قلبُ ، وادى الصَّبَا حالتُ مسارِحَهُ
وأقفرتُ من صباياهُ الجميلاتِ
فلا الجداولُ تحدوها مسلسلةً
ولا الخمائلُ تهفو بالنضيراتِ

صَوَّحَنَ من مشرقِ الوادى لمغربه
فما بهنَّ مُطيفٌ من خيالاتِ
ما فى حياتكِ من سلوى تلوذُ بها
لكنهُ الحبُّ ذاكَ القاهرُ العاتى
قد فاجأتكَ غواشيهِ التى سكنتُ
إنَّ الليالىَ ملأى بالفُجاءاتِ

* * *

يا للبحيرةِ : من يرتادُ شاطئها
ومن يُسرُّ إلى الوادى مناجاتى ؟

ومن يعيدُ لنا أطيفَ ليلتها
وما غَنَمْنَا عليها من أويقاتِ
وخلوةٍ في حَقَافِيتها وقد عَبَّئَتْ
يَدُ الصَّبَا بحواشيها الموشاةِ
يضمُّنا باسِقُ ، في الشطِّ ، منفردُ
ضمَّ الشَّتَيْتَيْنِ في علياءِ جناتِ
والقلوبِ أحاديثُ يجاوبُها
تتأوحُّ الطيرُ في ظلِّ الخميلاتِ

* * *

يا ليلةٌ قد ذهَلْنَا عن كواكبها
في زودقِ بين ضفِّاتِ ولجَادِ
يسرى بنا مَوْهِنًا ، والريحُ تدفعُهُ ،
كالنجمِ يسبحُ في علوى هالاتِ
وفي الشواطىءِ للمجدافِ أغنيةُ
يَصْبُها الموجُ في سحرى موجاتِ
ما كانَ أهنأها دنيا ، وأهنأنا

في ليلها الصُّحُو، أوفى فجرها الشاتى

مَرَّتْ خَيَالَاتُ مَاضِيهَا ، وَمَا تَرَكْتُ
سِوَى وَجُومٍ لِيَا لِيَهَا الْحَزِينَاتِ
وَمَنْ تَلْهَفُ أَحْنَائِي وَثَارَتِهَا
يَا لَلْجَوَانِحِ مِنْ وَجْدِي وَثَارَاتِي
يَا صِرْخَةَ الْقَلْبِ ، هَلْ أَسْمَعُ مِنْكَ صَدِي
مَنْ ذَا يَرُدُّ الصَّدَى فِي جَوْفِ مَوَاةٍ ؟
جَوْبِي مَفَاوِزَ أَيَّامِي فَقَدْ صَفَرْتُ
مِنْ نَبْعِ مَاءٍ ، وَمِنْ أَظْلَالِ وَاحَاتِ
قَضَى ، عَلَى ظَمَأٍ ، قَلْبِي بِهَا وَفَمِي
وَضَلَّتِ الْعَيْنُ فِيهَا إِثْرَ غَايَاتِي
حَتَّى الْعَوَاصِفُ صَمْتُ عَنْ نِدَاءَاتِي
فَمَا تَرُدُّ عَلَى الْآيَامِ صِيحَاتِي

* * *

يَا مَنْ قَتَلْتَ شَبَابِي فِي يَفَاعَتِهِ
وَرَجْتَ تَسْخَرُ مِنْ دَمْعِي وَأَنَاتِي
حَرَمْتَ أَيَّامِي الْأُولَى مَفَارِحَهَا
فَمَا نَعَمْتُ بِأَوْطَارِي وَلِذَاتِي
قَدَعُ فَوَادِي مُحْزُونًا يَرْفُ عَلَى
مَاضِي لِيَالِي ، وَانْعَمَ ، أَنْتَ ، بِالْآتِي

دَعْنِي عَلَى صَخْرَةِ الْمَاضِي لَعَلُّ بِهَا
مِنْ الصَّبَابَةِ وَالتَّحْنَانِ مَنجاتِي !



١٣ - إلى الطبيعة المصرية

لِمَ أنتِ ، أيتها الطبيعة ، كالحزينة في بلادى ؟
لولا أغاريدُ ترسلُ بينَ شاديةٍ وشادى
وخيالُ ثورٍ حولَ ساقيه يُراوحُ أو يُغادى
وقطيعُ ضأنٍ فى المروجِ الخضرِ يُضربُ بالهواذى
لحسبتُ أنكِ جنَّةٌ مهجورةٌ من عهدِ عادٍ
هجروكِ ، لا كنتِ العقيمَ وأستِ منجبةُ القتادِ
عجباً وماؤكِ دافقٌ ونجومُ أرضكِ فى اتقادِ
لو كنتِ فى الغربِ الصنَّاعِ لكنتِ قبلةً كلُّ هادى
وافتنُ فيكِ الفنُّ بالروحِ المُحرِّكِ للجِمامِ
وتفجرُ المَرَحُ الحبيسُ بكلِّ ناحيةٍ ووادى
ولقلتُ أبتدرُ الشدَّاءَ غداةَ فجرٍ أو تنادى
هذى الروائعُ فيكِ لم تُخلَقْ لغيركِ ، يا بلادى !



١٤ - على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

أخى ! إن وردت النيل قبل ورودى
فحى زمامى عنده و عهدى
وقبل ترى فيه امتزجنا أبوة
ونسلمه لابن لنا وحفـيد
أخى ! إن أذان الفجر ليبت صوتهُ
سمعت لتكبرى ووقع سجودى
وما صغت قولاً أو هتفت بأية
خلا منطقى من لفظها وقصـيدى
أخى ! إن حواك الصبح ريان مشرقاً
أفقت على يوم أغر سعيد
أخى ! إن طواك الليل سهمان سادراً
نبا فيه جنبى واستحال رقودى
أخى ! إن شربت الماء صفواً فقد زكتُ
خمائلُ جنأتى وطاب حصـيدى
أخى ! إن جفاك النهر أو جف نبعهُ
مشى الموت فى زهرى وقصف عودى

فكيف تُلَاحِصِنِي وَالْحَاكَ ؟ إِنَّنِي
شَهِيدُكَ فِي هَذَا .. وَأَنْتَ شَهِيدِي !
حَيَاتُكَ فِي الْوَادِي حَيَاتِي ، فَإِنَّمَا
وُجُودُكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَجُودِي

* * *

أَخِي ! إِنْ نَزَلَتِ الشَّاطِئَتَيْنِ فَسَلِّهُمَا
مَتَى فَضْلًا مَا بَيْنَنَا بِحُدُودٍ ؟
رَمَانِي نَذِيرُ السُّوءِ فَيْكَ بِنَبَأَةٍ
فَجَلَّلَ بِالْأَحْزَانِ لَيْلَةَ عَيْدِي
وْغَامَتُ سَمَانِي بَعْدَ صَفْوٍ وَأُخْرِسَتْ
مَرْأَهُرُ أَحْلَامِي وَمَاتَ نَشِيدِي
غَدَاةَ تَمَنِّي الْمُسْتَبَدِّ فِرَاقَنَا
عَلَى أَرْضِ آبَاءِ لَنَا وَجُودٍ
وَزَفٍّ لَنَا زَيْفَ الْأَمَانِي عُلَالَةٍ
لَعَلُّ بِنَا حُبُّ السِّيَادَةِ يُودِي
أُخُوَّتَنَا فَوْقَ الَّذِي مَانَ وَادَّعَى
وَمَا بَيْنَنَا مِنْ سَيِّدٍ وَمَسْجُودٍ
إِذَا قَالَ «الاستقلالُ» فَاحْذَرُهُ نَاصِبًا
فِيخَاخَ «احتلال» كَالدَّهْوَرِ أَبِيدٍ

وكم قَبْلُ مَنَانِي ، عَلَى وَفْرِ مَا جَنَى
بَحْرَيْنِ ، مَنْ زَرَعِي وَضَرَعِ وَلِيدِي
فَلَمَّا أَتَاهُ النَّصْرُ هَاجَّتْهُ شِرَّةٌ
فَهُمْ بَنَكَرَانِي وَرَامَ جُحُودِي
أَلَا سَلَّةٌ ، مَاذَا بَعْدَ سَبْعِينَ حَجَّةً
أَأَنْجِزَ مَنْ وَعَدَ ؟ أَفَكُ قِيُودِي ؟



١٥ - القبرة

عن الشاعر الانجليزى شلى

يا أيها الروحُ يهفو حَوْلَهُ الفَرْحُ
تحيةً ، أيُّ هذا الصَّادِحُ المَرْحُ
من أمةِ الطَّيْرِ هذا اللحنُ ما سمِعتُ
بمثله الأرضُ ، لا روضٌ ولا صدَحُ
أنت الذى من سماءِ الروحِ منهلهُ
خمرُ إلهيةٍ لم تحوِّها قَدَحُ
يفيضُ قلبُك الحاناً يُسلسِلُها
فنُ طليقُ من الوجدانِ منسرحُ !

* * *

وعالياً ، عالياً ، لا زلتَ منطلقاً
عن الثرى ، تصلُ الأفاقَ أماداً
مثلَ السحابةِ ، من نارٍ ، مُسْعَرَّةٍ ،
والبرقِ مؤتلقاً ، والنَّجمِ وقاداً
يهفو جناحاك فى أعماقِ زُرْقَتِها
وأنتَ تُضْرِبُ فى الأفاقِ مُرتاداً

تشدو فتُمعنُ في أجوازها صُعدا
فإن علوتَ بها أمعنتَ إنشادا

* * *

ومائجُ ذهبى النُورِ قد غرقتُ
في ذَوْبِهِ الشمسُ عبْرَ العالمِ الثانى
تُوهجُ السُحبُ البِيضاءُ حُمُرتهُ
فَتَسْتَحِيلُ عليها ذاتُ ألوانِ
أشعةُ ذاتُ أمواجٍ غَدَوْتَ بها
تطفو وترسبُ في لُجِيها القانى
كأنما أنت - جذلانا تراوحنا -

روحٌ من الطربِ العلوى نورانى

* * *

تذوبُ حولكَ إمّا طرُتَ فى أفقِ
غلالةُ الأرجوانِ الشاحبِ الساجى
كنجمةٍ فى سماءِ الليلِ خافقةٍ
تذوبُ فى فلقِ الصبـحِ وهـاجِ
يا من تُطريئنى الحـانُ غِبطتهِ
وما رأيتُ لهُ طيفاً بمعراجِ

ألا أراك فإني سامعٌ نغمًا
يهفُو إلى باطرابٍ وإيهاجٍ

* * *

وصاعدًا في مضاءِ السهمِ أرسلهُ
قوسٌ من الكوكبِ الفضى منزعهُ
ينأى فيخبو رويداً وهجٌ شعلتهُ
حتى يُلَاشَى كأنَّ الفجرَ يتبعهُ
ونرسلُ العينَ نرعاهُ هنا وهنا
وما يبينُ لنا من أينَ مطلعهُ
حتى إذا عزَّنا المرأى وأجهدنا
دلُّ الشعورُ على أن ذاكَ موضعهُ !

* * *

هذي السماءُ بموسيقاك مائجةُ
والأرضُ يغمُرُها من صوتك الطربُ
وصفحةُ الليلِ أصفى ما يكونُ سوى
غمامةٍ خلقتُها وحدها السُّحبُ
وقد بدا القَمَرُ الوضاحُ يُمطرُها
إرسالُ ضوءٍ على الآفاقِ ينسكبُ

يرمى السموات سيلً من أشعتها
تكادُ تسبحُ في طوفانه الشهبُ

* * *

من أنت ، يا من يجوبُ الليلَ منفرداً
ولم تقَعْ لى عليه بُعدُ عيتانٍ ؟
أى الخليفةِ قل لى أنت تشبهه
وأيها منك فى أوصافه دانى ؟
وهذه السحبُ أصبغاً مُشكَّلةً

فى رائعٍ من فريدِ اللونِ فستانٍ
لا ينزلُ الغيثُ منها مثلاً نزلتُ
شئى أغانيك فى سحرى الحانٍ !

* * *

كشاعرٍ فى سماءِ الفكرِ مُختبئٍ
دلُّ الوجودِ عليه لحنه العالى
الحنُّ أغنيةُ أمسى يُرتلها
كمرسِلٍ من نشيدِ الخلدِ سيالٍ
أسلنَ بالعالمِ السالى خوالجَه
حتى استحالَ شجوناً قلبُه الخالى

بعثن من ألم فيه ومن أمل
ما لم يكن منه في يوم على بال

* * *

كان حورية في ظل شاهقة
من البروج تقضى العيش في خلس
لم يغمض النوم عينيها ولا خمدت
نيران قلب لها في فحمة الغلس
باتت تلطف الأما تساورها
في عزلة بنشيد ساحر الجرس
تطوف الحان موسيقاه مخدعها
كأنه الحب في إيقاعه السلس

* * *

كان بين الربا التفت خمائلها
فراشة من سبيك التبير جكواء
يا حسن أجنحة منها مذهب
قد رقشتها من الأسحار أنداء
تري السماء صفاء فهي إن خطرت
فالسماء بهذا اللون إغراء

تجلو الأزاهر والأعشاب طلعتهما
إذا بدت ولها فيهن إخفاء

* * *

كزهرة الحقل في غيئاء سرحتها
لم يملأ النور من أجفانها حنقا
حتى إذا لفحتّها الريح هاجرة
زكت وأريت على أملودها ورقا
وأرج الحقل من أنفاسها عبق
يشوق كل جناح نحوها خفقا
تهفو إليها من الأنسام أجنحة
من كل منطلق من عطرها سرقا

* * *

ووقع لحنك في الأسحار أرخم من
وقع الندى فوق أعشاب البساتين
قد نطّ الزهر المنصور سلسله
وجاد بالطلّ أقواف الرياحين
يا من على صوته في الأفق منسجماً
تصحو الأزاهر في أفنانها الغين

كل البدائع مهما افتن مبدعها
لم تعد لحنك في صنوغ وتلحين

* * *

قل لي : أمن ملكوت الروح منطلق
أم طائر أنت في الآفاق هيمان ؟
أي الخواطر من حسن ومن بهج
يُشيعها منك في الأرواح وجدان ؟
لم تشرئب قلوب من أضالعتها
لفير صوتك أو تنصب أذان
حديث حب وخمر بات يسكب
من جانب الله أنغام والحن !

* * *

من أين تلك الأغاني أنت ترسلها ؟
من أي مطرد ينبوع منسجم ؟
من أي نائرة الأمواج زاخرة ؟
أي السهولة والأغوار والقمم ؟
وأي حب اليف منك أو وطن ؟
وأي جهل لما نلقاه من ألم ؟

* * *

وفى منامك والآفاق حالة
وفى انتباهك والظلماء إصغاء
لابد من نبأ للموت تعرفه
وفى فؤادك عنه اليوم أشياء
لأنت أعمق فكرياً فى حقائقه
مما نراه ونحن اليوم أحياء
أو لا ! فكيف انسجام اللحن مطرداً
يجريه من رائق البللور لآلاء ؟

* * *

إننا نفكر فى ماضٍ بلا أثرٍ
ومقبلٍ من حياةٍ كلها غيبٌ
ومستحلٍ نرجى برق ديمته
وكل ما ترتجيه منه مختلبٌ
وكم لنا ضحكاتٍ غير صادقةٍ
ما لم يشب صفوها التبريح والوصب
وإن أشهى الأغاني فى مسامعنا
ما سأل وهو حزين اللحن ، مكتئب !

* * *

هَبْنَا عَلَى رَغْمِ هَذَا لَيْسَ يَجْمَعُنَا
بِالْحَقْدِ أَوْ كِبَرِيَاءِ النَّفْسِ أَوْ هَاقُ
فَلَا الْقُلُوبُ لَدَى الْبِئْسَاءِ جَازِعَةٌ
وَلَا بَهْنٌ إِذَا رُوعُنَ إِشْفَاقُ
وَمِنْ أَيْنَا قَدْ دَرَجْنَا فِي خَلِيقَتِنَا
بَلَا دَمُوعٍ تَذْرِيهُنَّ أَمَاقُ
فَكَيْفَ كُنَّا إِذَا نَلَقَاكَ فِي فَرْحٍ !
أَوْ يَغْمُرُ الرُّوحَ لَحْنٌ مِنْهُ رَقْرَاقُ ؟

* * *

يَا أَعَذِبَ الطَّيْرِ مُوسِيقَى وَأَرْوَعَهَا
مِنْ كُلِّ رَائِقٍ أَنْفَاسٍ وَالْحَنَانِ
وَيَا أَعَزُّ لَنَا مِنْ كُلِّ مَا جَمَعْتُ
نَفَاسُ الْكُتُبِ مِنْ دُرَى تَبْيَانِ
يَا مَا أَحَقُّ اقْتِدَارًا مِنْكَ قُدْرَتُهُ
بِشَاعِرٍ لَبِيقِ التَّصَوُّيرِ فَنَانِ
أَنْتَ الْمَبْرَأُ فِي حُبٍّ وَعَاطِفَةٍ
يَا مَنْ تَعَالَيْتَ عَنْ أَرْضٍ وَإِنْسَانِ

* * *

أما تُعلِّمُنِي مما يَفِيضُ بِهِ
غناؤُكَ العَذْبُ تطراباً وتحناناً !
ذاك الحنونُ الذي يُهْدِي توافقه
إِلَى من صَدَحَاتِ الخلدِ الحانا !
ألسْتَ تُكْهَمُنِي وحيّاً يَفِيضُ بِهِ
فمى ، فأملأ قلبَ الكونِ إيماناً !
أشدُّو فيُلْقَى إِلَى الكونِ مِسمعُهُ
يُصْغِي إِلَى كما أُصْغِي لَكَ الآنَا !



١٦ - الملاح القائه

أيها الملاح قم واطوِ الشراعا
لم نطوى لجة الليل سراعا
جذف الآن بنا فى هينة
وجهة الشاطئ سيرا واتباعا
فغدا ، يا صاحبي ، تأخذنا
موجة الأيام قذفا واندفاعا
عبثا تقفو خطى الماضى الذى
خلت أن البحر وراه ابتلاعا
لم يكن غير أويقات هوى
وقفت عن دورة الدهر انقطاعا
فتمهل ، تسعد الروح بما
وهمت ، أو تطرب النفس سماعا
ودع الليلة تمضى ، إنها
لم تكن أول ما ولّى وضاعا
سوف يبدو الفجر فى آثارها
ثم يمضى ، ودو اليك تباعا

هذه الأرضُ انتشتُ مما بها
فَغَفَّتْ تحلُمُ بالخلدِ خداعا
قد طَوَّأها الليلُ حتى أوشكتُ
من عميقِ الصُّمْتِ فيه أن تُراعا
إنَّه الصُّمْتُ الذي في طيِّه
أسفرَ الجهولُ ، والمستورُ ذاعا
سَمِعَتْ فيه هُتَافَ المنتهى
من وراءِ الغيبِ يُقْرِبُها الوداعا
أيها الأحياءُ ، غنُّوا واطربوا
وانهبوا من غَفَلَاتِ الدهرِ ساعا

* * *

أه ، ما أروعها من ليلةٍ
فاضٍ في أرجائها السحرُ ، وشاعا
نَفَخَ الحبُّ بها من روحه
ورمى عن سرِّها الخافى القناعا
وَجَلَا من صُورِ الحُسْنِ لنا
عبقرياً لَبِقَ الفنِّ صنَّاعا
نفحاتُ رَقَصَ البحرُ لها
وهفاً النجمُ خُفُوقاً والتماعا

وسرى من جانب الأرضِ صدى
حركَ العُشبَ حناناً واليراعا
بعثَ الأحلامَ من هجعتها
كسرايا الطيرِ نُفُوزَ ارتياعا
قُمْنَ بالشاطئِ من وادى الهوى
بنشيدِ الحبِّ يهتفن ابتداعا
أيها الهاجرُ عزُّ الملتقى
وأذبتَ القلبَ صدا وامتناعا
أدركَ التائهَ فى بحرِ الهوى
قَبْلَ أنْ يقتلهُ الموجُ صراعاً
وارعَ فى الدنيا طريداً شارداً
عنه ضاقت رقةُ الأرضِ اتساعاً
ضلُّ فى الليلِ سُرَاهُ ، ومضى
لا يرى فى أفقٍ منه شعاعاً
يجتوى اللافحَ من حرِّ قته
وعذابِ يُشعلُ الروحَ التِياعاً
والأسى الخالدَ من ماضٍ عفا
والهوى الثائرَ فى قلبٍ قداعى

فاجعلِ البحرَ أماناً حوله
واملا السهلَ سلاماً واليفاعاً^(١)
وامسحِ الآنَ على الاممِ
بيدِ الرفقِ التي تمحو الدُماعاً^(٢)
وقدِ الفُلكَ إلى برِّ الرضى
وانشرِ الحبَّ على الفُلكِ شِراعاً



(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) الدُمَاع : كثير الدمع .

١٧ - راكبة الدّراجة

تمهلى فراشة الصُّباح
أُسْرِفَتْ فى الغُدُوّ والرواح
ماذا ارتيادُ الطُّرُقِ الفِساخ
والوثبُ فوقَ العُشبِ والصُّفاخ
بين الرُّوابى الخُضِرِ والبِطاح
بالشُّعْرِ المَهْدِلِ السِّباح
كالموجِ تحتَ العاصِفِ المِجتاح
والنَّهْدِ وهو مُطَلِّقُ السِّراح
يخفقُ بين الصِّدرِ والوشاح
والسَّاقُ خَلْفَ السَّاقِ فى كِفاح
فى حَلَقَةٍ طاغيةِ الجِماح
تدورُ مِثْلُ البارقِ اللَّماح
تودُّ لو طارتُ مع الرِّياح
وحلَّقَتْ فى كِبِدِ الصُّراح
بلطفِ هذا الجِسْدِ المِراح
وخِفَّةِ فى رُوحِ الصِّدادِ

تَكَادُ تُغْنِي الطَّيْرَ عَنْ جَنَاحٍ !
يا لِهَوَاءٍ عَابَثِ مَفْرَاحٍ
سُكْرَانٌ ، لا مِنْ خَمْرٍ الْأَقْدَاحِ
بَلْ مِنْ صَبَاكِ ، وَالصَّبَا كَالرَّاحِ
يَرْفَعُ طَرْفَ الثُّوبِ فِي مَزَاحِ
لا يَسْتَحْيِ مِنْ لَائِمٍ وَلَا حِي



١٨ - على حاجز السفينة

- حَنَّتْ عَلَى حَاجِزِ السَّفِينَةِ
تَرْنُو إِلَى السُّفُوفِ وَالزُّيُودِ
- كَانَتْهَا الْفَتْنَةُ السَّجِينَةُ
تَمْضَى بِهَا لُجَّةُ الْإِبْدِ
- نَبَتْ بِهَا ضَجَّةُ الْمَكَانِ
يَزِينُهَا الصُّفُوفُ وَالْجَلَالُ
- وَالْبَحْرُ مِنْ حَوْلِهَا أَغَانِي
وَالسُّحُبُ وَالرِّيحُ وَالْجِبَالُ
- سَاحِرَةٌ وَحْدَهَا تُطَلُّ
بِمَلْتَقَى النُّورِ وَالظُّلَامِ
- لَا تَسَامُ الصُّفُوفُ أَوْ تَمَلُّ
تَهَامِسُ الشُّهُبِ وَالْغَمَامِ
- تُصْنَعِي إِلَى الْمَوْجِ وَالرِّيَّاحِ
فِي مَعْزِلِ شِقَاقِ كُلِّ عَيْنِ
- كَانَتْهَا نَجْمَةُ الصَّبَاحِ
مُطَلَّةٌ مِنْ سَحَابَتَيْنِ

- مَهْفَافَةٌ الثُّوبِ فِي بِيَاضٍ
يَكَادُ عَنْ رُوحِهَا يَشْفُ
- لَايٌ ذَكَرَى وَائٍ مَاضٍ
يَسْرَى بِهَا خَاطِرٌ وَيَهْفُو؟
- وَمَا وَرَاءَ الْعُبابِ تَبْغَى
وَائٍ سِرُّ لَهَا تَبْدَى
- وَائٍ لَحْنٌ إِلَيْهِ تُصْغَى
بِرُوحِهَا الْحَالِمِ اسْتَبْدَا؟
- عَجِبْتُ لِلْبَحْرِ مَا عَرَاهُ
يُودُ لَوْ مَسَّ نَاطِرِيهَا
- يَتَاخَمُ النُّجْمُ فِي عِلَاهُ
وَيَنْثَنِي جَائِيًا لَدِيهَا
- وَهَائِمٌ فِي الْفَضَاءِ صَبَّ
مُجَنِّحٌ لَا يَكِينُ طَيْفَا
- كَمْ وَدَّ لَوْ - مِنْ ضَنْيٍ وَحُبٍّ
هَوَى عَلَى صَدْرِهَا وَأَغْفَى
- كَمْ بَثُّ مَنْ أَنَّهُ وَاَلْقَى
بِهَمْسَةٍ ضَائِعٍ صَدَاها

- يَاوَيْحَهُ لَا يَحِيرُ نُطْقًا
- فَكَيْفَ تُلْقِي لَهُ انْتِبَاهًا ؟
- أَنْفَاسُهُ عَنْ جَوَاهُ تُغْنِي
- عَلِيلَةً خَفَقَتْهَا اضْطِرَابُ
- كَأَهَةٍ فِي قَمِ الْمَغْنَى
- جَرِيحَةٍ لَحْنُهَا الْعَذَابُ
- يَدْنُو ، وَيَرْتَدُّ فِي حَيَاءِ
- يُجَاذِبُ الثُّوبَ وَالشَّعْرَ
- وَكَلِمَا كُلُّ مِنْ عِيَاءِ
- أَثَارُهُ الْوَجْدُ فَاسْتَعْرَ
- يَضُمُّهَا رَاعِشًا ، وَيَمْضَى
- مُبَاعِدًا ، وَهُوَ مَا ابْتَعَدُ
- كَأَنَّهُ بِالْحَنِينِ يَقْضَى
- لُبَّانَةُ الرُّوحِ وَالْجَسَدُ
- وَالْقَمَرُ الطَّالِعُ الصَّغِيرُ
- أَزَاحَ عَنْ وَجْهِهِ السُّحَابَا
- وَقَدْ جَرَى ضَوْؤُهُ الْغَرِيرُ
- يَسْتَشْرِفُ الْأَثَقَ وَالْعُبَابَا

- المَرِحُ العَابِثُ الطُروبُ
لما دعا باسمه الشروقُ
- نادَتْ به موجةُ لعوبُ
إلى .. يا أيُّها المشروقُ
- طالَ على المنتأى طُروقي
وطالَ مسراكَ في السَّماءِ
- فنَمَّ على صدرى الخفوقِ
واحُلُمَ بما شئتَ من هُنا
- وأنسِنى وحشةَ الليالى
بِقُبلةِ منك ، يا حبيبى
- لكِنَّه مرُّ لا يبالى
ولجَّ فى صمته العجيبِ
- مذ أبصرتُهُ انثنى ومراً
قالت ، ومن دمعها مَسِيلُ :
- لأنتَ مثلُ الرجالِ طُراً
يا أيُّها الخائنُ الجميلُ
- وهبْتُكَ الغَضُّ من شبابه
سكرانَ من خمرةِ أمسياتى

- فأين تمضى على العُباب
من صَوْتِ حُبِّي وذِكْرِياتي ؟
- ومن هي العادةُ التي
تنسلُّ من مخدعي إليها
- أعندها مثلُ فتنتي
أم أننى أفتري عليها ؟
- إذهبْ إليها ودعْ زمامي
فديتُك ، اسلمْ على التناهي
- إنْبَحْ على صدرها غرامي
واملا لها الكأسَ من شقائي
- وآلهُ مع الغيدِ والعداري
وغنْ بالكأسِ والوترِ
- وانقعْ من الغلَّةِ الأوارا
واقطفْ من اللذةِ الثمَرِ
- أبوك ، والطبعُ لا يحولُ ،
وربَّتهُ خلقُهُ و خَلْقَا
- يا أيها القلبُ الملولُ
من قبضتي لن تنالَ عِثْقا

- مُطَارِدُ أَنْتَ بَاشْتِيَاقِي
- مَا جَبَّتْ أَرْضاً وَجَزَّتْ بَحْراً
- مُقَيَّدُ أَنْتَ فِي وَثَاقِي
- وَإِنْ رَأَيْتَ الْعَيَّوْنَ حُرّاً
- لَأَنْتَ مَهْمَا كَبُرْتَ طِفْلي
- يَا ابْنَ الْهَوَى الْبَكْرِ وَالْأَلَمِ
- خُطَاكَ مَسْبُوقَةٌ بِظَلِّي
- وَإِنْ تَعَلَّقْتَ بِالْقِمَمِ
- سَأَحْفَظُ الْعَهْدَ مِنْكَ دَوَّماً
- وَأَقْطَعُ الْعَمَرَ فِي انْتِظَارِكَ
- وَسَوْفَ تَأْوِي إِلَيَّ يَوْمَا
- تَبْكِي ، وَأُبْكِي إِلَى جَوَارِكَ
- ضِرَاعُهُ مِنْ عَذَابِ انْتَنَى
- مَشَتْ عَلَى الْمَائِجِ الْغَضُوبِ !
- صَغَا لَهَا اللَّيْلُ وَاسْتَحْثَا
- سُـوََاكِنَ الرِّيحِ لِلْهُبُوبِ
- وَحَدَّقْتُ فِي الدُّجَى نَجُومُ
- غَيْرِي ، تَغَامِزْنَ بِالْخَبِيرِ

- وغمغمتُ نجمةً رؤومُ
أما يرى ضوءهُ القمرُ ؟
- أما يرى ذلكَ الصَّبِيَّ
يُؤَلِّبُ البَحْرَ والظلاما ؟
- فإِيا لهُ فاتنا خَلِيًّا
يُزَوِّدُ العِشْقَ والغراما !
- كم ليلَةٍ بعدَ ألفِ ليلَةٍ
لم تَرَوْها عنه شـهـر زَادُ
- وكم عناقٍ لهُ وَقَبْلَهُ
فِي كِذْبَةٍ لَفْظُهَا مُعَادُ
- فاستوعِبَ الضَّوْءُ مَلَأَ حَسَّهُ
مِفَاتِنَ النَّاسِ والطَّبِيعَةِ
- مُرَدِّدًا فِي قَرَارِ نَفْسِهِ
ما أَبْشَعَ الغِيرَةِ الوَضِيعَةِ ؟
- وارتعَشَ الضَّوْءُ ثَمَ اضْئَفَى
مِنْ حَوْلِهِ الصَّفَوَ والسُّكِينَةَ
- وابتَسَمَتْ نَفْسُهُ فَأَلْفَى
خَطَاهُ فِي جَانِبِ السَّفِينَةِ

- فِرَاعُهُ ذَٰكَ الْجَمَالُ
- جَمَالُهَا الصَّامِتُ الْحَزِينُ
- فَشَاقَّةُ الشُّعْرُ وَالْخِيَالُ
- وَهَزَّةُ الْوَجْدِ وَالْحَنِينُ
- فَقَالَ : يَا رَوْعَةَ الْمَسَاءِ
- وَفِتْنَةَ اللَّبِّ وَالْبَصَرِ
- قَدْ أَذِنَ اللَّيْلُ بِانْقِضَاءِ
- وَأَنْتِ مَوْصُولَةُ السَّهْرِ
- أَيُّهَا الْمَلَكَةُ الْكَسِيرَةُ
- أَيُّهَا الرَّبُّ الْخَجُولَةُ
- أَيُّهَا الْطِفْلَةُ الْكَبِيرَةُ
- لَنْ تَبْرَحِي عَالَمَ الْطِفُولَةِ !
- أَعْلَمُ مَا تَكْتُمِينَ عَنِّي
- وَأَنْ تَلْتُمْتِ بِالْخَفَاءِ
- خَمْسُ لَيَالٍ وَأَنْتِ مِنِّي
- مَتَبَوِّعَةُ الظِّلِّ بِاشْتِهَائِي
- قَدْ كُنْتُ أَزْهَى بِمَا عَرَفْتُ
- مَنْ فَتَنَ الْحَسَنَ وَالْدَّلَالَ

- لَكُنْنى اللَّيْلَةَ اكْتَشَفْتُ
- أرَوَعُ ما شِئْتُ من جِمالِ
- عَشِقْتُ فِىكَ الهوى وَ ذُلَّةُ
- فى زَهْوَةِ الحِسنِ والشِّبابِ
- وَذلِكَ الصَّمْتُ ، ما أَجَلَّةُ
- فى عِـالَمِ اللُّغوِ والكِذابِ
- هارِبَةٌ أَنْتِ ، يا فَتاتى
- من ثَوْرَةِ الشُّكِّ والرَّيبِ
- هَرَيْتِ من ضِجَّةِ الحِياةِ
- فكَيْفَ من نَفْسِكَ الهَرَبُ ؟ !
- بها ابدنى أولاً فسلَّى
- وردكِ من شوْكِه الأثيمِ
- لا البُعْدُ يجدى وَ لا التَّسلَّى
- كطَعْنِكَ الغَدْرِ فى الصِّمِيمِ
- مِنْهَةٌ لم يَطُلْ مَداها
- تروغُ بالصَّمْتِ وَ الشَّحْوَ
- لم يبلِغِ اللَّيْلُ مُنتَهاها
- إِلّا على رَوْعَةِ المَغْـيِبِ

- والتفتَ الضوءُ للوداعِ
- يهمسُ في رِقَّةٍ و وجدٍ
- يا ربةَ الحسنِ لا تُراعى
- فلترعكِ الكائناتُ بعدي
- يا ليلُ ، يا موجُ ، يا رياحُ
- أيتها السُّحبُ و الظلالُ
- أيتها الغُورُ و البطاحُ
- أيتها الشهبُ و الجبالُ
- في الجوّ ، في الماءِ ، في الثرى
- صوني لها العهدَ والودادِ
- رُدِّي على عينيها الكرى
- وأبعدي الفكرَ و السهادِ
- وانقذها منَ الجوى
- يا عاشقاتي على الزمانِ !
- بكلِّ ما فيكِ من قُوى
- وكلِّ ما في من حنان !!



١٩ - إنتظار

طالَ انتظارُكَ في الظلامِ ولم تزلْ
عيناىَ ترقبُ كلَّ طيفٍ عابرٍ
ويطيرُ سمعى صوبَ كلِّ مُرْتَهَنٍ
في الأفقِ تخفقُ عن جَنَاحَيْ طائرٍ
وترفُ رُوحى فوقَ أنفاسِ الرِّيا
فلعلَّها نَفْسُ الحبيبِ الزائرِ
ويخِفُ قلبى إثرَ كلِّ شُعاعَةٍ
فى الليلِ تومضُ عن شهابٍ غائرٍ
فلعلَّ من لَمَحَاتِ ثَغْرِكَ بَارِقُ
ولعلَّه وَضَحُ الجبينِ الناصرِ
ليلٌ من الأوهامِ طالَ سُهادُهُ
بينَ الجوى المضنى وهجسِ خاطرٍ
حتى إذا هَتَفَتْ بمَقْدَمِكَ المُنَى
وأصخَتْ أَسْتَرعى انتباهَهُ حائرٍ
وسرى النسيمُ من الخمائلِ و الرُّبى
تشوانَ يعبقُ من شذاكَ العاطرِ

وترنم الوادى بسلسلِ مائه
وتلت حمائمٌ نشيدَ الصافرِ
وأطلتِ الأزهارُ من ورقاتها
حيرى تعجبٌ للربيعِ الباكرِ
وجرى شعاعُ البدرِ حولك راقصاً
طرباً على المرجِ النضيرِ الزاهرِ
وتجلتِ الدنيا كأبهج ما رأت
عينٌ وصورها خيالُ الشاعرِ
ومضتُ تكذبني الظنونُ فأنثنى
متسمّعاً دقاتِ قلبي الثائرِ
أقبلتُ بالبسماتِ تملأُ خاطري
سحراً وأملأُ من جمالك ناظري
وأظلنا الصمتُ الرهيبُ ونحنُ في
شكٍ من الدنيا وحلمِ ساحرِ
حتى إذا حانَ الرحيلُ هتفتُ بى
فوقفتُ واستبقتُ خطاك ناظري
وصرختُ بالليلِ المودعِ باكياً
ويداك تمسكُ بى وأنتَ مغادرى

يا ليتنا لم نَصْنَعْ مِنْكَ وليَّها
ما أعجلتك رَحَى الزمانِ الدائرِ

* * *

ولقد أتتْ بعدُ الليالي وانقضتْ
وكاننا في الدهرِ لم نتزاوِرِ
بُدِّلتْ من عَطْفٍ لَدَيْكَ ورقّةٍ
بحنينٍ مهجورٍ وقسوةٍ هاجرِ
وكاننى ما كنتُ إلفَكَ فى الصَّبَا
يوماً ولا كنتُ الحياةَ مشاطِرِ
ونسيتَ أنتَ ، وما نسيتُ ، وإِنتى
لأعيشُ بالذكري .. لعلَّكَ ذاكرى !!

✍ ✍ ✍

٢٠ - البحر والقمر

تَسْأَلُ الْمَاءُ فَيْكِ وَالشُّجْرُ
مَنْ أَيْنَ يَا « كَانُ » هَذِهِ الصُّورُ ؟
الْبَحْرُ وَالْحُورُ فِيهِ سَابِحَةٌ
رُؤْيَى بِهَا بَاتَ يَحْلُمُ الْقَمَرُ !
أَطْلُ وَالضُّوْءُ رَاقِصُ غَزَلٍ
دَعَاهُ قَلْبٌ ، وَشَاقَّةُ بَصَرٍ
يَهْمِسُ فِيمَا يَرَاهُ مِنْ قِتْنٍ
أَلِهَةٌ هَؤُلَاءِ أَمْ بَشَرُ ؟
يَقْفِزُ مِنْ لَجَّةٍ إِلَى حَجَرٍ
كَأَنَّمَا مَسَّ رُوحَهُ الضُّجْرُ
مَعْرِبْدًا لَا يَرِيْمُ سَابِحَةٌ
إِلَّا وَمِنْهُ بَثْفَرُهَا أَثَرُ
مِنْ كُلِّ حَوَاءٍ مِثْلَمَا خُلِقَتْ
يَعْجَبُ مِنْهَا الْحَرِيرُ وَالْوَبَرُ
أَلْقَتْهُ عَنْهَا رَقَائِقًا وَنَضَّتْ
جَسْمًا تَحَامَى نِدَاءُهُ الْقَدَرُ

فِي حَانَةِ مَا عَلَتْ بِهَا عُمْدُ
وَلَا اسْتَوَى فِي بَنَائِهَا حَجَرُ
جُدْرَانِهَا الْمَاءُ ، وَالسَّمَاءُ لَهَا
سَقِيْفَةٌ ، وَالنِّسَائِمُ السُّتُرُ
خِمَارُهَا مُنْشِدٌ ، وَسَامِرُهَا
حُورٌ تَلَوِي ، وَفَتْيَةٌ سَكْرُوا
لَمْ تَبْقَ فِي الشَّطِّ مِنْهُمْ وَقَدَمُ
قَدْ خَوْضُوا فِي الْعِبَابِ وَانْتَثَرُوا
وَشَيَّعُوا الْعَقْلَ حِينَمَا شَرِبُوا
وَوَدَّعُوا الْقَلْبَ حَيْثَمَا نَظَرُوا
وَالسَّابِحَاتُ الْحَسَانُ حَوْلَهُمْ
كَأَنَّهُنَّ النُّجُومُ وَ الزُّهْرُ
يَزِيدُ سَيِّقَانَهُنَّ مِنْ بَهَجِ
لَوْنٍ عَجِيبُ الرُّوَاءِ مَبْتَكَرُ
يَضِيءُ وَرْدًا وَخَمْرَةً وَسَنَى
ذُوبٌ مِنَ الْمَغْرِبَاتِ مُعْتَصِرُ
تَغَايِرِ الْمَوْجِ إِذْ طَلَعْنَ بِهِ
وَنَارٌ مِنْ حَوْلَهُنَّ يَشْتَجِرُ

بهن يَلْتَفُّ مُرْتَقَى وَيَرَى
 يَنْشَقُّ عَنْهُنَّ فِيهِ مُنَحَدَرُ
 مَنَفَتَاتٍ قَدَوْدُهُنَّ كَمَا
 يَنْفَتِلُ الْغَصْنُ أَدَهَ الثَّمَرُ
 مُلَوَّحَاتٍ بِأَذْرَعٍ عَجَبٍ
 تَحْذَرُهُنَّ النَّهْدُ وَ الشَّعْرُ
 وَالضَّوُّ فَوْقَ الْخُصُورِ مِنْهُمُ
 وَالْمَاءُ تَحْتَ الصُّدُورِ مُسْتَعَرُ
 مَا زِلْنِ وَالْبَحْرُ فِي تَوَلُّبِهِ
 يُرْغَى كَمَا رَاعَ قَلْبُهُ خَطَرُ
 قَدْ جَاوَزَ اللَّيْلُ نِصْفَهُ فَمَتَى
 تَوَمُّ فِيهِ أَصْدَافُهَا الدُّرُ
 فَلْيَصْخَبِ الْبَحْرُ وَلْتَنُنْ بِهِ
 رِمَالُهُ ، وَلْيَثْرَثِرِ الشَّجَرُ
 وَلْتَعَصِفِ الرِّيحُ فَوْقَ مَائِجِهِ
 وَلْيَنْبَجِسْ مِنْ غَمَامِهِ الْمَطَرُ
 أَقْسَمَنْ لَا يَتَّحِينَ شَاطِئُهُ
 وَإِنْ تَرَامَى بِمَائِهِ الشَّوْكَرُ

حتى يُرى وهو فضاء ذهب
تمازج الليل فيه والسحر !



٢١ - حلم ليلة

إذا ارتقى البدرُ صفحةَ النهرِ
وضمنا فيه زبدقُ يجري
وداعبتُ نسممةً من العطرِ
على مُحبيّك خُصلةَ الشعَرِ
حسوتُها قبله من الجمرِ
جنُّ جنونى لها وما أدرى
أى معانى الفتونِ والسُّحرِ
تفرك أوحى بها إلى ثغرى !
حلمٌ مساءٍ أتاحه دهرى
غردَ فيه الحبيسُ فى صدرى



٢٢ - إعراف

إِنْ أَكُنْ قَدْ شَرِيتُ نَخْبَ كَثِيرَاتٍ وَاتَرَعْتُ بِالْمَدَامَةِ كَأْسِي
وَتَوَلَّعْتُ بِالْحَسَّانِ لِأَنِّي مُغْرَمٌ بِالْجَمَالِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ
وَتَوَحَّدْتُ فِي الْهَوَى ثُمَّ أَشْرَكْتُ عَلَى حَالَتِي رَجَاءً وَيَأْسٍ
وَتَبَذَلْتُ فِي غِرَامِي فَلَمْ أَحْبِسْ عَلَى لَذَّةِ شَيَاطِينِ رِجْسِي
فَبِرُوحِي أَعِيشُ فِي عَالَمِ الْفَنِّ طَلِيقاً وَالطَّهْرِ يَمَلاً حِسِّي
تَائِهاً فِي بَحَارِهِ لَسْتُ أَدْرِي ، لِمَ أَرْجَى الشَّرَاعَ أَوْ فِيمَ أَرْسِي
لِي قَلْبُ كَزَهْرَةِ الْحَقْلِ بِيضَاءَ نَمَتْهَا السَّمَاءُ مِنْ كُلِّ قَبَسٍ
هُوَ قَيْثَارَتِي عَلَيْهَا أَغْنَى وَعَلَيْهَا وَحْدِي أَغْنَى لِنَفْسِي
لِي إِلَيْهَا فِي خُلُوتِي هَمَسَاتٌ أَنْطَقْتُهَا بِكُلِّ رَائِعٍ جَرَسٍ

* * *

كَمْ شَفَاهُ بِهِنَّ مِنْ قُبُلَاتِي وَهَجَّ النَّارِ فِي عَوَاصِفِ خُرْسٍ
وَوَسَادٍ جَرَتْ بِهِ عِبْرَاتِي ضِحْكُ يَوْمِي مِنْهُ وَإِطْرَاقُ أَمْسِي
أَيُّهَذِي الْخُدُورُ أَنْوَارُكِ الْحَمْرَاءُ كَمْ أَشْعَلَتْ لِيَالِي أَنْسِي
أَحْرَقْتَهُنَّ ! أِهْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُنَّ سِوَى ذَلِكَ الرُّمَادِ بِرَأْسِي !



٢٣ - أندلسية

حسنكِ النشوانُ والكأسُ الرويَّةُ
جدُّدا عهد شبابي فسكُرتُ
حُلمُ أيامٍ وَلَيَّلاتٍ وضُيَّةُ
عَبَّرْتُ بي في حياتي وعبرتُ
أنا سكرانُ وفي الكأسِ بقيَّةُ
أى خمرٍ مَنْ جَنَى الخلدَ عصرتُ؟
أه ، هاتى قُرْبى الكأسِ إليَّ
واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّةُ

* * *

لا تقولى أى صوتٍ مُلهمٍ
قَادَ روحينا ، فجئنا ، والتقينا
دَمَكِ المشبوبُ فيه من دمي
روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا
أختَ روحى ! قُرْبىها من فمى
إن شَرَبنا أو طربنا ما علينا

أهـاتـيـها من الحسنِ جَنِيَّةُ
واسقـيـها أنتِ ، يا أندلسيَّةُ

* * *

كانتِ النظرةُ أولى نظرتينُ
ثم صارتَ لفظَةً ما يَبِينُنا
والهوى يَعْجَبُ مِنْ مَغْتَرِبَيْنِ
لم يَقُلْ أنتِ ، ولا قالتُ أنا
وَسَبَحْنَا فوقَ وادٍ من لُجَيْنِ
تَحْتَ أَفْقٍ من غمامٍ وَسَنَى
أتملأها سِمَاتُ عَرَبِيَّةِ
وأنادى أنتِ ، يا أندلسيَّةِ

* * *

صَحَتْ يا للشمسِ في ظلِّ المغيِبِ
تلثمُ الزُّهْرَ وأوراقَ الشُّجَرِ
خَلَّتْها بينَ محبٍّ وحبِيبِ
قُبْلَةً عَنَدَ وداعٍ وَ سَفَرِ
فانثنتُ تنظرُ للوادي العجيبِ
صُوراً يَذْهَبْنَ في إثرِ صُورِ

وبسمعى همسة منها شجيرة
وبروحي أنتِ ، يا أندلسية

* * *

ونزلنا عند شط من نضار
وانتحينا خلوة بعد زحام
قلتُ والليلُ بأعقابِ النهارِ :
ألكِ الليلةَ فى لحنٍ و جام ؟
ما على مغتربى أهلٍ ودارِ
إن أدارا ها هنا كأس مدام ؟
أهاتيهها كخدكِ نقيّة
واسقنيها أنتِ ، يا أندلسية

* * *

واحتوتنا بينَ لحنٍ مطربِ
حانةً مثلُ أساطيرِ الزمانِ
صوّرتُ جدرانها بالذهبِ
فتنّ العشق وأهواءَ الحسانِ
قالتِ : اشربْ قلتُ لبيكِ اشربى
ملء كأسين فإننا ظامئانِ

خمرة رومية أو بابلية
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسية

* * *

هتفتُ بي ويداهما في يدي
تدفعُ الكأسَ باغراءٍ وعُجبٍ
أى قيثارٍ شجى غردي
خلتهُ ينطقُ عن أسرار قلبي !
قلتُ طفلٌ من قديم الأبدِ
يمزجُ الألحانَ من خمرٍ وحبٍ
ملء كأسٍ في يديه ذهبيةً
فاسقنيها أنتِ ، يا أندلسية

* * *

ومضى الليلُ ونادى بالروح
كلُّ خالٍ وتعايا كلُّ صبٍ
وخبا المصباحُ إلا كأسَ راحٍ
نورهُ ما بين إيماضٍ ووثبٍ
قد تحدى وهجُهُ ضوءَ الصباحِ
فبقينا حوله جَنَّباً لجَنَّبٍ

نتساقاها على الفجرِ نديّة
وأغنى أنت ، يا أندلسيّة

* * *

يا عروسَ الغربِ ، يا أندلسيّة
بَعُدْتُ داركِ و الصيفُ دنا
أينَ أحلامُ اللّيالى القمريّة
والبحيراتُ مُطيفاتُ بنا ؟
أذكرى بينَ الكؤوسِ الذهبية
حانةً ، يا ليتها دامتُ لنا
حينَ أدعوكِ صباحاً وعشيّة
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسيّة



٢٤ - فلسفة وخيال

نُهْزَةُ أَهْدَتِ الْخِيَالَ إِلَيْنَا
وَدَعَتْنا لِمَوْعِدِ فَالتَّقِينَا
ههنا تحتَ ظِلَّةِ الْغَابَةِ الشَّجَرَا
ءِ سِرِّنا ، وَالْفَجْرُ يَحْنُو عَلَيْنَا
وَقَطَفْنَا مِنْ زَهْرِهَا ، وَاثْنَيْنَا
فَجَنَيْنَا تُفَاحَهَا بِيَدَيْنَا
وَمَرَحْنَا بِهَا سَحَابَةَ يَوْمِ
وَبَأَشْجَارَهَا نَقَشْنَا اسْمَيْنَا

* * *

ههنا يا ابنةَ الْبَحِيرَاتِ وَالْأَوْدِيَةِ الْخُضْرِ وَالرُّبَى وَالْجِبَالِ
صَدَحَ الْحُبُّ بِالنَّشِيدِ فَلَبِينَا نَدَاءَ الْهَوَى وَصَوْتَ الْخِيَالِ
وَتَبِعْنَا عَلَى خُطَى الْفَجْرِ مُوسِيقَى مِنَ الْعُشْبِ وَالنَّدَى وَالظَّلَالِ
وَسَمِعْنَا حَفِيفَ أَجْنَحَةٍ تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ مِنْ كَهُوفِ اللَّيَالِي

* * *

قُلْتُ لِي وَالْحَيَاءُ يَصْبُغُ خَدْيِكَ : أَنَارُ تَمْشِي بِهَا أَمْ دِمَاءُ ؟
مَلَأْ عَيْنِيكَ ، يَا فَتَى الشَّرْقِ ، أَحْلَامُ سَكَارَى وَصَبُوءَ وَاشْتِهَاءُ

وعلى ثغرك المشوقِ ابتسامُ
ضُرْجَتُهُ الأشـواقُ والأهواءُ
أو حقاً دُنْيَاكَ زهرٌ وخمرٌ
وغـوانٍ فـوانٍ و غناء؟

* * *

قُلْتُ : يا فتنة الصِّبَا حَفَلَتْ دُنْيَاكَ بالحبِّ والمُنَى والأغاني
ما أثارت حرارة الجَسَدِ المشتاقِ إلا مرارة الحرمانِ
إن أجسادنا معابرُ أرواحٍ إلى كلِّ رائعٍ فتانٍ
أنا أهوى رُوحِيَّةِ العالمِ المنظورِ لكنْ بالجسمِ والوجدانِ

* * *

ما تكونُ الحياةُ لو أنكرَ الأحياءُ فيها طبائعَ الأشياءِ !
أنا أهواكِ كالفراشةِ صاغتْها زهورُ الثرى وكفُّ الضياءِ
أنا أهواكِ فِتْنَةً صاغَها المثلُّ من طينةٍ ومن إغراءِ
أنا أهواكِ بدعةً الخلدِ صيغتْ من هوى آدمٍ ومن حواءِ

* * *

أنا أهواكِ من أثمٍ وطهرٍ
حُلْمٍ إغفائتى وصحوٍ غرامى

أنا أهواك تُبدعينَ يقينى من نسيجِ الظنونِ والأوهامِ
أنا أهواك دِفءَ قلبى وَيَتَّبِعُ اشتهاى ، وشِرتى ، وعُرامى
وحناناً مُجسّداً إن طوانى الليلُ وسدتُ صدره ألامى

* * *

يا للطريقِ الضيقِ الصَّاعدِ بينَ ربوتينِ
كأنما خُطَّ على قَدْرِ خُطى لعاشقينِ
الشُّجراتُ حوله كأنها أهدابُ عَيْنِ
كعهدهِ بِصاحبِ الدَّارِ ظليلِ الجانبينِ
نَبأهُ الصَّدَى المرنُ عن قُدمِ زائرينِ
فى فجرِ يومٍ ماطرٍ شقَّ حجابَ ديمتينِ
كأنما يَنْزِلُ منه الوحى حَبَاتٍ لَجِينِ
فانتبهتُ خميلةٌ تهزُّ عُشَّ طائرَيْنِ
وشاعَ فى الغايةِ هَمْسٌ من شفاهِ زهرتينِ
مَنِ الغريبانِ هُنا ؟ وما سُرَّاهما ، وأين ؟
ماذا قدومُهُما والغيثُ مدرارُ

لا صاحبُ الدَّارِ طلاعُ ولا الدَّارُ
هذى البحيرةُ وَسَتى ، حلُمٌ ليلتها
لما تُفِقُ منه شطئانُ وأغوارُ

والأرضُ تحتَ سحابِ الماءِ أخيلةُ
مما يُصوِّرُهُ عُشْبٌ وَنُورُ
والصبحُ فى مهدِهِ الشرقى ما رُفِعَتْ
عن وَرْدِهِ من نسيجِ الغيمِ أَسْتَارُ
حتىّ الجبالُ فما لاحَتْ لها قِمَمُ
ولا شدا لرُعاةِ الضأنِ مِزمارُ
فمنْ هما القادمانِ ؟ الريحُ صاغيةُ
لوقِعِ خطوهُما والأرضُ أبصارُ !
أعادَ مَنْ زَمَنِ الأشباحِ سامرُهُ
فالليلُ والغابُ أشباحُ وأسْمارُ ؟
أمّ البحيرةُ جَنِيَّاتُها طلعتْ
فهبُ موجُ يناديها وتيارُ !
أمّ راصداً كوكبٍ ضلّاً سبيلهما
لما خَبَتْ من نجومِ الليلِ أنوارُ
أمّ صاحباً سَفَرٍ مالَ الضنى بهما
حَوَّثَهُمَا جَنَّةُ للفنِّ مِعْطَارُ
أمّ عاشقانِ تُرى ؟ أمّ زائرانِ هما ؟
وهل مَعَ الفجرِ عُشاقُ وزوارُ ؟ !

وَأَمْسَكَ الْغَيْثُ كَمَا لَوْ كَانَ يُصْغَى مِثْلَنَا
وَاعْتَنَقَتْ حَتَّى وَرِيقَاتُ الْغُصُونِ حَوْلَنَا
كَأَنَّمَا تَخْشَى النَّسِيمَ أَوْ تَخَافُ الْغُصْنَ
وَانْبَعَثَ اللَّحْنُ الشَّجِيُّ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا
يَثُورُ فِي إِيقَاعِهِ قِيْثَارَةٌ وَأَرْغُفَا
كَأَنَّ جِنًّا فِي السَّمَاءِ يُشْعَلُونَ الْفِتْنَا
كَأَنَّ أَرْيَابًا بِهَا يُحَاكِمُونَ الزُّمْنَا
يَا صَاحِبَ الْإِيقَاعِ مَا تَعْرِفُ مَا هَجَّتْ بَنَّا
الْفَجْرُ؟ أَمْ ثَارَتْ عَلَى الشَّمْسِ بَوَارِقُ السَّنَى؟
مَا لَكَ قَدْ غَنِيَّتَهُ هَذَا النَّشِيدَ الْحَزْنََا
غَنِيَّتَهُ الْهَلْهَلُ أَمْ أَنْتَ غَنِيَّتَ لَنَا؟

مَا ذَلِكَ الصَّوْتُ شَاجِيَ اللَّحْنِ سَحَارُ

يُجْرِيهِ نَبْعٌ مِنَ الْإِلَهَامِ زَخَارُ
فِيهِ تَنْفَسُ فَوْقَ السُّحْبِ الْهَلْهَلُ

وَأَدْمِيُونَ فَوْقَ الْأَرْضِ نُورُ
لَهُ مِذَاقٌ ، لَهُ لَوْنٌ ، لَهُ أَرْجُ

خَمَرُ أَبَارِيقِهَا شَتَّى وَأَثْمَارُ
أَشْتَفُهُ وَأُنَادِي كُلُّ نَاحِيَةٍ

مَنْ الْمُغْنَى وَرَاءَ الْغَابِ ، يَا دَارُ؟

السمفونية هذى ! أم صدى حلم
كما تجاوبُ خلفَ الليلِ أطيّارُ !
أعادَ للمِعْزَفِ المهجورِ صاحبهُ
فعرّبتُ في يديه منه أوتارُ !
أظَلُّ أُصْنِى وما من شُرْفَةٍ فُتِحَتْ
ولا أزاحَ رِنَاجَ البِــسَابِ دِيَارُ
حتى الحديقةُ لَفَتْ كوخَ حارسها
بصمتها ، فهما نَبَتٌ وأحجارُ
تواضعتُ بجلالِ الفنِّ ما ارتفعتُ
مثلَ البروجِ لها فى الجوّ أسوارُ
تُصْغِى إلى هَمَسَاتِ الرِّيحِ شَيْقَةً
كأنما همساتُ الرِّيحِ أخبارُ !
هنيهةً ، ثمَّ سمعنا هاتفاً مرديداً
يقولُ : قُمْ « يا سِجْفَرِيْدُ » ، فالصُّباحُ قد بدا
عرانسُ الوادى ألَمْ تضربْ لهنَّ موعدا ؟
ماذا ! قُمْ انفضِ الكرى ، ونمُّ كما شئتَ غدا
واخطرْ على الغابةِ منضُورَ الصُّبَا مُخلِّدا
خُذْ سيفك السحريُّ صيغَ جوهراً وعسجدا

قد لَقِيَ التَّنِينُ مِنْهُ فِي الْعَشِيَّةِ الرَّدَى
صَوْتُ مَعَ الرِّيحِ سَرَى .. ، وَلِلْسَكُونِ أَخْلَدَا
فَأَمْسَكَتْ صَاحِبَتِي يَدِي وَحَاطَتْ بِي يَدَا
تَقُولُ : لَمْ أَسْمَعْ كَهَذَا اللَّحْنِ أَوْ هَذَا الصُّدَى
قُلْتُ : وَلَا بِمِثْلِهِ شَادَ عَلَى الدَّهْرِ شَدَا
قَدْ بَاخَ بِالنَّغَمِ الْمَوْعُودِ قَيْثَارُ
فَالْفَجْرُ أَحْلَامُ عُشَّاقٍ وَأَسْرَارُ
صَحْحَا يُفَصِّلُ رُؤْيَاهُ وَيَعْبُرُهَا
مَوْجٌ عَلَى الشَّاطِئِ الصَّخْرَى ثَرثارُ
وَزَحْزَحَتْ وَرَقَ الصَّفْصَافِ حَانِيَةٌ
عَلَى الْبُحَيْرَةِ أَعْشَابُ وَأَزْهَارُ
تُسَائِلُ الْمَاءَ : هَلْ غَنَّتْهُ أَوْ عَبَرَتْ
شَهَبٌ بِهِ مَسْتَحْمَاتٌ وَأَقْمَارُ ؟
يَا صَاحِبَ اللَّحْنِ إِنَّ الْغَابَ مُصْغِيَةٌ
فَأَيْنَ مِنْ « سِجْفَرِيدَ » السِّيفُ وَالْفَارُ ؟
مَا زَالَ فَوْقَ نَدَى الْعَشْبِ مُضْجَعُهُ
وَمِنْ يَدَيْهِ عَلَى الْأَغْصَانِ أَثَارُ
هَذَا النِّشِيدُ ، نَشِيدُ الْحُبِّ ، تَعْرِفُهُ
لَهُ عَرَائِسُ ، مِثْلُ الْوَرْدِ ، أَبْكَارُ

بَعَثْنَهُنَّ مِنَ الْأَنْغَامِ أَجْنَحَةً
هَزِيزَهُنَّ مَعَ الْأَفْلاكِ دَوَارُ
فِي صَدْرِ قَيْثَارَةٍ أَوْدَعَتْهُ نَغْمًا
مِزَاجُهُ الْمَاءُ وَالْإِعْصَارُ وَالنَّارُ
تُقْضَى بِمَا شِئْتُ مِنْ أَسْرَارِ عَالَمِهَا
فِيهِ لَيْالٍ ، وَأَيَّامٌ ، وَأَقْدَارُ
حَتَّى الطَّبِيعَةُ مِنْ نَاسٍ وَالْهَيْهَاتِ
تَمَازَجَتْ فِيهِ الْحَانُ وَأَشْعَارُ !



٢٥ - الله والشاعر

- لا تفزعي ، يا أرضُ ، لا تفرقي
من شَبَّحَ تحتَ الدُّجَى عابِرِ
مما هوَ إلا أدميُّ شوقي
سموهُ بين الناسِ بالشاعِرِ
- حنائكِ الآن ، فلا تُكْري
سبيلهُ في ليالكِ العابسِ
ولا تُضايِّقْهُ ، ولا تنفِري
من ذلكِ المستصرخِ البائسِ
- مُدِّي لعينيه الرِّحابَ الفِراحِ
ورقِقي الأضواءَ في جِـفنه
وامسكي ، يا أرضُ ، عصفَ الرياحِ
والرأعِـدَ المنصبَّ في أذنه
- أنتِ له ، يا أرضُ ، أمٌ رُومِ
فأشْهـدي الكونَ على شِقْوَتِهِ
وردِّدي شكواهُ بينَ النـجـومِ
فهو ابنُكِ الإنسانُ في حيرتِهِ

● ما هو إلا صوتك المرسل
وروحك المستعبد المرهق
قد أدّه الدهر بما يحمل
فجاء عن الأمل ينطق؟

● طغى الأسى الدأوي على صوته
يا للصدي من قلبه الناطق
مضى يبتّ الدهر في خفته
شكاية الخلق إلى الخالق

● حنانك اللهم ، لا تغضب
أنت الجميل الصفح ، جم الحنان
ما كنت في شكواي بالذنب
ومنك ، يارب ، أخذت الأمان

● ما أنا بالزاري ولا الحاقدر
لكنني الشاكي شقاء البشر
أفنيّت عمري في الأسى الخالد
فجئت أستوحيك لطف القدر

● تمردت روعي على هيكلي
وهيكل الجسم كما تعلم

ذاك الضعيفُ الرأي لم يفعل
إلا بما يوحى إليه الدم !

● يَعرِّقُ حَدُّ السَّيْفِ من لحمه
ويحطمُ الصُّفوفَ وأنْ بنيانَهُ
وينخرُ الجرثومُ في عظمه
ومنهُ يُنمي القبرُ بريدانهُ !

● ما هو إلا كومةٌ من هباءٍ
تمحقةُ اللمسةِ من غضبيتك
فكيف يثني الروحَ عما تشاء ؟
وكيف يقوي ؟ وهى من قدرتك ؟

● يا للشقيِّ القلبِ كم سامَهُ
توهمُ النعممةِ ما لا يطيقُ
يُريدُ أنْ يُقنِعَ أوْهامَهُ
بأنَّتهُ ذاكَ الخليُّ الطليقُ

● هأنذا أرفعُ ألامَهُ
إلى سماءِ المنقذِ الأعظمِ
أنا الذي تُرسلُ أنفِسامَهُ
قيثارةُ القلبِ ، ونايُ الفمِ

● من عبراتي صُغتُ هذا المقالُ

ومن لهــــــــــــيبِ الروحِ هذا القلَمُ
ملأتُ منهُ صفحَاتِ الليالِ
فَضُمْتُ كُلَّ مــــــــــــعْبَانِي الألمِ

● أنا الذي قدُستُ أحزائهُ

الشَّاعِرُ الباكي شقاءَ البشرِ
فَجَرَّتْ بِالرَّحْمَةِ الحَانُ
فاملأ بها ، ياربُّ ، قلبَ القدرِ !

● ما الشَّاعِرُ الفنَّانُ في كونهِ

إِلَّا يَدُ الرَّحْمَةِ مِنْ رِيهِ
مُعْزِّي الْعَالَمِ فِي حُزْنِهِ
وَحَامِلُ الألامِ عَنْ قَلْبِهِ

● عزائهُ شعراً بهِ أهْزَجُ

فِي نَغَمٍ مَسْتَعِذِبٍ سَاحِرٍ
مَا يَحْزَنُ الْعَالَمُ أَوْ يُهْجُ
إِلَّا عَلَى قِيْثَارَةِ الشَّاعِرِ

● ياربُّ ، ما أشقيتني في الوجودِ

إِلَّا بِقَلْبِي : لَيْسَتْهُ لَمْ يَكُنْ

في المثل الأعلى وحبّ الخلود
حملتسه العبه الذي لم يهن

● خلقتة قلباً رقيق الشغاف

يهيم بالنور ويهوى الجمال
حلت له النجوى ولذ الطواف
بعالم الحسن ودنيا الخيال

● بعثته طيراً خفوق الجناح

على جنان ذات ظل ومساء
أطلقتها فيها قبيل الصباح
وقلت : غن الأرض لحن السماء

● فهم في أفاقها الواسعة

النور يهفو حوله والندى
مصفاً للضحوة الساطعة
ومنشداً ما شاء أن ينشدا

● إن جاء صيف أو تجلى ربيع

حياء منه عبقري الغناء
وكم خريف في نشيد بديع
تظل ترويه ليالي الشتاء

- قِيْثَارَةٌ تَصْدُرُ فِي فَنِّهَا
عَنْ عَالَمِ السَّحْرِ وَدُنْيَا الْخَفَاءِ
عَلَى الصُّدَى الْحَائِرِ مِنْ لَحْنِهَا
يَسْتَيْقِظُ الْفَجْرُ وَيَغْفُو الْمَسَاءُ
- مَشَتْ عَلَى الْأَمْوَاجِ أَنْغَامُهَا
وَالْأَرْضُ قَيَّدُ النِّشْوَةِ الْمُسْكِرَةِ
كَأَنَّمَا تَرْقُصُ أَحْلَامُهَا
فِي لَيْلَةٍ شَرْقِيَّةٍ مُقَمَّرَةٍ !
- مِنْ قَلْبِهِ أَسْلَمَتْ أَوْتَارُهَا
فَقَلْبُهُ يَخْفُقُ فِي كَفِّهِ
يَشْدُو فَتَمْلِي النَّفْسُ أَسْرَارَهَا
عَلَيْهِ ، فَهِيَ الْلَحْنُ مِنْ عَزْفِهِ
- ذَاتَ صَبَاحٍ طَارَ لَا يُمَهِّلُ
وَالْأَرْضُ سَكْرَى مِنْ عَبِيرِ الزَّمُودِ
عَلَى حَصَايَا رُثَمِ الْجَدُولِ
وَفِي رَوَابِيهَا تُغْنِي الطِّيُورُ
- مَا كَانَ يَدْرِي قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَا
مَا خَبَأَتْهُ النُّظْرَةُ الْعَاجِلَةُ

مَا أَبْدَعَ الْحَلَمَ الَّذِي صَوَّرًا
لَوْلَمْ تَشْبَهُ الْيَقْظَةَ الْقَاتِلَةَ !

● مَرُّ بِنَهْرٍ دَافِقٍ سَلْسَبِيلُ
تَهْفُو الْقَمَارَى^(١) حَوْلَهُ شَادِيَةٌ
فِي ضَفْتِيهِ بِاسْقَاتِ النَخِيلِ
تَرْعَى الشَّيْأَهُ تَحْتَهَا ثَاغِيَةٌ

● فَهَاجَتْ النُّظْرَةُ مِمَّا رَأَى
فِي قَلْبِهِ السَّحَرُ وَفِي عَيْنِهِ
الْكُونُ يَبْدُو وَادْعَاءُ هَانَتْ
كَأَنَّهُ الْفَرْدُوسُ فِي أَمْنِهِ

● فَظَلُّ فِي التَّفَكِيرِ مُسْتَغْرَقًا
مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَمِنْ سَحَرِهَا
مَا كَانَ إِلَّا رِيْثْمًا حَذُوقًا
حَتَّى جَلَّتْ دُنْيَاهُ عَنْ سَرِّهَا

● رَأَى بَعَيْنِيهِ الَّذِي لَمْ يَرَهُ
الذُّنْبُ ، وَالشَّأَةُ ، وَحَرْبُ الْبَقَاءِ

(١) الْقَمَرَى : ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَامِ حَسَنُ الصَّوْتِ .

مَا عَرَفَ الْقَتْلَ وَلَا ابْصَرَهُ
وَلَا رَأَى مِنْ قَبْلُ لَوْنَ الدَّمِـاءِ !

● مَا هِيَ إِلَّا صَرَخَاتُ الْفَزَعِ
وَصِيحَةُ الْمَقْتُولِ وَالْقَاتِلِ
قَدْ انْقَضَى الْأَمْرُ كَأَنْ لَمْ يَقَعْ
وَضَاعَ صَوْتُ الْحَقِّ فِي الْبَاطِلِ

● وَبَعْدَ سَاعَاتٍ يُؤَلِّي النَّهَارُ
وَيَقْبِلُ اللَّيْلُ ، وَمَا يَعْلَمُ !!
سَيَلْبَثُ السَّرُّ وَرَاءَ السِّتَارِ
وَيَخْتَفِي الشُّلُوفُ وَيُمَحِي الدَّمُ !!

● يَا أَرْضُ ، وَلِيْ عَهْدُ نُوْحٍ وَذَا
فَمَنْ لَكَ الْيَوْمَ بِطُوفَانِهِ ؟
مَسْكِينَةٌ تَطْوِينَ بَحْرَ اللَّيَالِ
قَدْ عَزَّكَ الْمَرْسَى بِشَطْئَانِهِ !

● إِلَامَ تَطْوِينَ عُبَابَ السَّنِينَ
شَوْقاً إِلَى فَرْدَوْسِكَ الْضَائِعِ ؟
غُرَّتْ ، يَا أَرْضُ بِمَا تَحْلُمِينَ
فَاسْتَيْقِظِي مِنْ حُلْمِكَ الْخَادِعِ !!

● وابقى كما أنتِ على موجهِ
تُمزِقُ الأنواءَ منكِ الشـ____راعُ
يَقْـذِفُكَ التـ____يـارُ في لجْهِ
عشواءَ لا يَهْدِيكَ فِيهِ شُوعُ

● سَلِي القَداساتِ وأربابَها
ضِراعةٌ تصغى إليها السـ____ماءُ
أَوْفـاطِرقِي بالبـيْثِ أبوابَها
لعلَّها ترفعُ عنكَ الشـ____قَاءُ !

● يا أيها الغادونَ والرائحونَ
فِي شُعبِ الأرضِ وَليلِ الـ____هـ____م____ومُ
تُـمـسـونَ أَشـتاتاً كما تـصـبـحـونَ
والشـ____مـسُ حَيْري فَوْقَكم والنـ____جـومُ !

● فابتهلي للهِ ، واستغفري
وَكـ____فُرى عَنكَ بـنارِ الـ____أَلمِ
وقدِّمي التَّوبَةَ ، واستمطري
بـ____يـنَ يَدَيْهِ عَبرَاتِ الـ____نَدَمِ !!



المحتويات

القصيدة	صفحة
١ - فلسطين	١١
٢ - مصر	١٣
٣ - الجندول	١٥
٤ - ليالى كليوبترة	١٩
٥ - العام الهجرى الجديد	٢٣
٦ - البحيرة	٢٧
٧ - قبر شاعر	٣٦
٨ - شاعر مصر	٤٢
٩ - شوقى	٤٨
١٠ - سورية وعيد الجلاء	٥٣
١١ - بطل الريف : عبد الكريم الخطاى	٥٥
١٢ - الأمسية الحزينة	٦١
١٣ - الطبيعة المصرية	٦٦
١٤ - على النيل	٦٧
١٥ - القبرة	٧٠
١٦ - الملاح التائه	٨٠
	١٢٧

صفحة

القصيدة

١٧ - راكبة الدراجة	٨٤
١٨ - على حاجز السفينة	٨٦
١٩ - انتظار	٩٦
٢٠ - البحر والقمر	٩٩
٢١ - حلم ليلة	١٠٣
٢٢ - اعتراف	١٠٤
٢٣ - أندلسية	١٠٥
٢٤ - فلسفة وخيال	١١٠
٢٥ - الله والشاعر	١١٨

رقم الإيداع ٩٦ / ٥٧٤٩

I. S. B. N 977-01-4811-3



مكتبة الأسرة



بسعر رمزي جنيده واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع



مطابع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

16

Bibliotheca Alexandrina



0268513